بنات الصحابة

في عصر النبوة

تأليف

منصور عبد الحكيم

المكتبة التوفيقية

Scanned by CamScanner

بَنَاتُ الصَّحَابَةِ

فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ

منصور عبد الحكيم



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

سورة التوبة/ ١٠٠

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.. رب الأرباب وخالق الوجود من العدم سبحانه وتعالى، وأشهد أن محمدًا رسول الله وخاتم أنبيائه ورسله، وأفضل خلقه، سيد ولد آدم، أرسله الله على حين فترة من الرسل، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزغ عنها إلا هالك، -ﷺ-.

ثم أما بعد:

فيطيب لنا الحديث عن الصالحين والصالحات دومًا، فلا نمل من ذكر آثارهم وسيرتهم، وأفضل القرون ذلك القرن الأول الذى عاش فيه سيد الخلق -ﷺ-، فيه الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، سلفنا الصالح وفخرنا وقدوتنا بعد رسول الله -ﷺ-.

ومما لا شك فيه أن أبناء هؤلاء الأصحاب -رضوان الله عليهم أجمعين- هم نتاج أعمالهم الصالحة واتباعهم نهج نبيهم -ﷺ-،

Scanned by CamScanner

فهم الذرية الصالحة للأسرة المسلمة فى العصر الأول عصر النبوة، ومن تلك الذرية البنات اللاتى أنجبن الأحفاد من التابعين بعد العصر الأول فكانوا خير خلف لخير سلف.

والحديث عن المرأة فى العصر الأول من الإسلام سواء كانت ابنة أو أخت أو زوجة أو أم، يؤكد أن صلاحها وتقواها كان العماد الأول فى الأسرة المسلمة الأولى التى بصلاحها صلح أمر هذه الأمة فى العهود الأولى لها، ويؤكد أيضًا أن فساد الأمة فى عصورها المختلفة وخاصة هذا العصر الأخير ناتج عن فساد المرأة وما نراه ونسمعه فى وسائل الإعلام المسموعة والمشاهدة يدل على صحة كلامنا.

ونحن حين نستعرض حياة هؤلاء البنات من بنات الصحابة -رضوان الله عليهم- يتضح لنا الأمر جليًا، ونستشف منهن الرحيق الطيب، والعظة والحكمة لنا ولبناتنا ونسائنا فى عصرنا هذا، لعل الصلة تعود كى نتقارب ونصلح ما أفسدناه بأيدينا وأفكار أعدائنا منذ سنوات ليست ببعيدة تحت ظل شعارات وهمية وراية حرية المرأة.

لقد أصبحنا نقرأ يوميًا فى الصحف دون مبالاة من خيانة الزوجات والأزواج والزواج الفاسد بين طالبات وطلبة الجامعة تحت مسمى الزواج العرفى، وكثرة المناقشات والندوات وللأسف الشديد أن الذين يناقشون ويتحدثون هم أسباب هذا الفساد الذى استشرى فى المجتمع، فتجد المرأة المتبرجة -تبرجًا أكثر من تبرج الجاهلية الأولى- تتحدث عن إصلاح الشباب والشابات، وحين يقال لها أن السبب فى

ذلك الفساد هو غياب الوازع الدينى تقول: لا وتدعى أن صلاح الأخلاق ليس فى الدين وحده!!

سبحان الله العظيم، كيف يناقش عديم الدين أمور دينية هامة مثل فساد الأخلاق بين الشباب، فإن فاقد الشىء لا يعطيه.

إننا نخاطب العقلاء من هذه الأمة، الذين ما زال لديهم وازع من الدين، نخاطب الفتاة المسلمة الحريصة على دينها، فنقدم لها بعضًا من صور ومواقف الفضليات بنات الصحابة -رضوان الله عليهن-، كى نفيق جميعًا من تلك الغفوة التى طالت قليلاً فنعود بتلك الأمة التائهة حاليًا إلى سابق عهدها فى عصر النبوة وذلك ليس ببعيد وإنما هو أمل قريب بإذن الله يتحقق ونسأل الله أن يتقبل هذا العمل وسائر الأعمال الصالحة منا ويجعله فى ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه، وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

القاهرة فى ٢٣ فبراير ٢٠٠٠م
١٧ ذو القعدة ١٤٢٠هـ

المؤلف
منصور عبد الحكيم محمد عبد الجليل
المحامى
ت: ٣٢٨١٨٢١
القاهرة

Scanned by CamScanner

بنات أبى بكر الصديق - رضي الله عنه -

[١] عائشة - رضي الله عنها -

[٢] أسماء - رضي الله عنها -

[٣] أم كلثوم - رضي الله عنها -

Scanned by CamScanner

[١] عائشة بنت أبى بكر - رضي الله عنهما -
«الصديقة بنت الصديق»

وقبل الحديث عن السيرة العطرة الزكية لتلك السيدة الفاضلة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق - رضي الله عنهما -، نود أن نتحدث قليلاً عن أبيها الصحابى الكبير أول من أسلم وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرجال.

نبذة عن أبى بكر الصديق - رضي الله عنه -:

إنه الصحابى الجليل - أول خليفة للمسلمين بعد وفاة النبى - صلى الله عليه وسلم -، وثانى اثنين إذ هما فى الغار..

أبو بكر الصديق ابن قحافة القرشى(١)، ولد بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - بسنتين وأشهر، وكان يعمل بالتجارة وله رئاسة فى قومه، اشتهر بالشجاعة فى الجاهلية والإسلام، دافع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببسالة نادرة فى كل المواقف.

أعتق سبعة من الصحابة كانوا يعذبون فى الله منهم بلال بن رباح - رضي الله عنه -.

---

(١) اسمه عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن مضر ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى ذكره أهل السير فى كتبهم على هذا النحو واشتهر بأبى بكر الصديق وقيل: إن اسمه عتيق ولكن الصواب الذى رجحه العلماء أن اسمه عبد الله ولقبه عتيق ومعنى عتيق أى حسن الوجه كما ذكر ذلك النووى فى تهذيب الأسماء.

Scanned by CamScanner

وضع ماله كله بين يدى رسول الله -ﷺ- يتصرف فيه كما يتصرف فى ماله وقال -ﷺ- فى ذلك: **«ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر»**.

فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله[١].

وجاء ذكره فى القرآن دون التصريح باسمه فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[٢].

قال عنه ابن كثير: «كان الصديق -﵁- أقرأ الصحابة لأنه -ﷺ- قدَّمه إمامًا فى الصلاة بالصحابة مع قوله: **«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»**.

وبعد وفاة رسول الله -ﷺ- اختاره المسلمون خليفة لرسول الله -ﷺ-، فكان نعم الخليفة والقائد، فحارب المرتدين ونهض لهم حتى استقر الأمر فى الجزيرة العربية كلها للإسلام.

وهو أول من يدخل الجنة من أمة الإسلام يوم القيامة بعد رسول الله -ﷺ- كما جاء فى الحديث الصحيح عنه -ﷺ-: **«أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى»**[٣].

توفى -﵁- عام ١٣هـ فى شهر جمادى الآخرة وعمره ثلاثًا وستين سنة.

هذا هو الأب، وأنعم به من أب كريم -﵁ وأرضاه-.

(١) أخرجه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة.
(٢) سورة الليل: ١٧، ١٨.
(٣) رواه البخارى ومسلم.

نبذة عن أم رومان -﵂-:

وأما عن الأم فهى الصاحبية أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية. -﵂-.

وفدت أم رومان إلى مكة للإقامة فيها مع زوجها الأول عبد الله ابن الحارث الأزدى وكان معهما طفلها الطفيل، وحالف الزوج أبا بكر الصديق كعادته العرب مع الغرباء، وتوفى الزوج تاركًا زوجته أم رومان وولده الطفيل، وتزوجها أبو بكر الصديق، وأحسن معاملتها وأكرمها هى وابنها، وأنجبت له أولاده عبد الرحمن وعائشة -﵃ أجمعين-.

وحين أشرق نور الإسلام على مكة المكرمة، وأسلم أبو بكر -﵁-، كان أول من دعا إلى الإسلام أهل بيته فأسلمت زوجته أم رومان فكانت من أوائل المسلمات.

واشتهرت أم رومان بصفات حميدة كزوجها أبى بكر الصديق -﵁- كالصدق والوفاء والجهاد فى سبيل دعوة الإسلام حتى قال -ﷺ- عنها: **«من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»**[١].

وتوفيت أم رومان فى حياة رسول الله -ﷺ-، ونزل الرسول الكريم فى قبرها واستغفر لها ودعا لها بكل خير الآخرة وقال: **«اللهم إنه لم يخف عليك ما لَقِيتْ أم رومان فيك وفى رسولك»**[٢].

(١) أخرجه ابن سعد عن القاسم بن محمد فى الطبقات.
(٢) أخرجه صاحب الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى والسمهودى فى كتابه «وفاء الوفا».

Scanned by CamScanner

هكذا كان الأب والأم، ولنعد إلى البنات تلك الذرية الصالحة..

مولدها -رضي الله عنها-:

عائشة -رضي الله عنها-.. البكر الوحيدة التى تزوجها رسول الله -ﷺ-.

ولدت -رضي الله عنها- بعد أربع أو خمس سنوات من البعثة بمكة المكرمة، أسلمت وهى صغيرة، عقلت الدنيا وأبواها مؤمنان بالله ورسوله قالت عن نفسها: لم أعقل أبوای إلا يدينان الدين(١).

فلقد أبصرت عينها نور الإسلام فى مهده الأول بمكة، وعاشت فى أحضان أبوين كريمين من أفاضل المسلمين الأوائل.

زواجها برسول الله -ﷺ-:

تحكى كتب السيرة النبوية أن رسول الله -ﷺ- أتاه الملك بصورة السيدة عائشة فى سرقة حرير أكثر من مرة ويقول له: هذه زوجتك(٢).

وعقد عليها النبى -ﷺ- بمكة قبل الهجرة ولم يدخل بها إلا بعد الهجرة بالمدينة وذلك لصغر سنها فقد كان عمرها وقت العقد عليها نحو السابعة.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه أن الملك أتى بصورة السيدة عائشة -رضي الله عنها- لرسول الله -ﷺ- فى سرقة من حريرة مرتين أو ثلاثًا، فيقول له: هذه زوجتك. قال رسول الله -ﷺ-: فاكشف عنها فإذا هى أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه.

وتروى كتب السيرة أن السيدة الصاحبية خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون جاءت لرسول الله -ﷺ-، بعد وفاة السيدة خديجة -رضي الله عنها- وقالت له:

- يا رسول الله، ألا تتزوج؟

قال: من؟

قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا.

قال: فمن البكر؟

قالت: أحب خلق الله إليك.. عائشة ابنة أبى بكر.

قال: ومن الثيب؟

قالت: سودة بنت زمعة.. قد آمنت بك واتبعتك.

قال: فاذهبى فاذكريهما علىّ.

فدخلت بيت أبى بكر فقالت: يا أم رومان.. ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟.

قالت أم رومان: وما ذاك؟

فقالت خولة: أرسلنى رسول الله -ﷺ- أخطب عائشة.

قالت: انظرى أبا بكر حتى يأتى.

فجاء أبو بكر: فقالت له خولة:

- ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟

قال أبو بكر: وما ذاك؟

قالت: أرسلنى رسول الله -ﷺ- أخطب عليه عائشة.

قال: وهل تصلح له إنما هى ابنة أخيه.

فرجعت إلى رسول الله -ﷺ-، فذكرت له ذلك.

فقال: **«ارجعى إليه فقولى له أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام، وابنتك تصلح لى»**.

فرجعت فذكرت ذلك له فقال لها أبو بكر:

- انتظرى.. وخرج.

وقالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه.. ووالله ما وعد أبو بكر وعدًا قط فأخلفه.

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبى، فقالت: يا ابن أبى قحافة، لعلك مصبى صاحبنا تدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج ابنتك.

فقال أبو بكر للمطعم بن عدى: أقول هذه.

قال مطعم: إنها تقول ذلك.

فكان ذلك دليل على رجوع مطعم بن عدى فى خطبة ابنه لعائشة.

وخرج أبو بكر -رضي الله عنه- من عنده وقد أذهب الله ما كان فى نفسه من وعده.. فرجع إلى خولة فقال لها:

أدعى لى رسول الله -ﷺ-.

فدعته فزوجها إياه وعائشة بنت ست سنين[1].

عائشة والهجرة النبوية:

من المواقف العظيمة ذات الأثر الجليل فى حياة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- حادثة الهجرة النبوية، فقد كان أبوها الصديق -رضي الله عنه- أحد أطرافها، وشاهدت عائشة -رضي الله عنها- تلك الحادثة حين جاءهم رسول الله -ﷺ- إلى دارهم وقت الضحى فى ساعة لم يكن يأتيهم فيها.. وقال لأبى بكر -رضي الله عنه-:

- أخرج من عندك.

ولم يكن بالبيت سوى عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر.

فقال أبو بكر -رضي الله عنه-:

- إنما هما ابنتاى، وما ذاك فداك أبى وأمى.

قال رسول الله -ﷺ- مطمئنًا:

- قد أُذن لى فى الخروج والهجرة.

فصاح الصديق -رضي الله عنه- فرحًا:

---

(١) الحديث بتمامه أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن عائشة -رضي الله عنها- وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية. وذكر ابن القيم أن رسول الله -ﷺ- قد تزوج من السيدة سودة بنت زمعة بعد وفاة السيدة خديجة -رضي الله عنها- بمكة ثم تزوج عائشة بنت أبى بكر -رضي الله عنها- بمكة ودخل بها بالمدينة المنورة.

Scanned by CamScanner

- الصحبة يا رسول الله.. الصحبة.

وبكى الصديق -رضي الله عنه- من الفرح لصحبته للنبى -ﷺ- فى الهجرة إلى المدينة المنورة، حتى قالت عائشة -رضي الله عنها-:

- ما شعرت قط قبل اليوم أن أحد يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى من الفرح لصحبته لرسول الله -ﷺ-.

وبعد هجرة الرسول -ﷺ- وصاحبه أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- إلى المدينة واستقر الحال برسول الله -ﷺ- بالمدينة المنورة وأرسى قواعد الدولة الإسلامية الأولى، وبنى مسجده وكذا حجرتين لزوجتيه سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبى بكر التى لم يكن قد دخل بها كما ذكرنا لصغر سنها، أرسل أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- ولده عبد الله ليحضر زوجته أم رومان وأسماء وعائشة -رضي الله عنهن-، وظلت عائشة -رضي الله عنها- فى بيت أبيها بالمدينة المنورة قرابة العامين حتى غزوة بدر الكبرى.

وبعد غزوة بدر الكبرى كان الفرح الكبير للمسلمين ولعائشة -رضي الله عنها- بدخولها البيت النبوى.

عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- فى بيت النبوة:

فى يوم عرسها اجتمع الرجال والنساء من المهاجرين والأنصار فى بيت الصديق -رضي الله عنه- وجاءت أم رومان إلى ابنتها عائشة العروس وجهزتها وأدخلتها البيت وسط النساء من الأنصار وقالت الصحابية أسماء بنت يزيد:

- على الخير والبركة وعلى خير طائر.

وأصلحن النساء من شأنها.. ثم أدخلتها أمها على رسول الله -ﷺ-، فأجلستها فى حجرة ثم قالت:

- هؤلاء أهلك يا رسول الله، فبارك الله لك فيهن وبارك لهن فيك.

وانصرف من كان بالبيت من الرجال والنساء وبنى رسول الله -ﷺ- بعائشة -رضي الله عنها- وكانت قد بلغت التاسعة من عمرها.

وكان هذا الحفل المتواضع هو حفل زفاف أفضل النساء على خير البشر -ﷺ-، ولم تذبح شاة أو جزور لقلة ذات اليد، وجاء الصحابى سعد بن عبادة الأنصارى بطعام ولبن فشرب منه النبى -ﷺ- وعائشة -رضي الله عنها-.

ودخلت عائشة -رضي الله عنها- البيت النبوى المتواضع وكان بحذاء المسجد النبوى، والبيت عبارة عن حجرة وصالة متواضعة الأثاث، ومكانها الآن بالمسجد النبوى حيث دفن فيها رسول الله -ﷺ-، فقد أدخلت وضمت للمسجد ومن خلفها باقى حجرات أمهات المؤمنين(1).

وعاشت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- حياة حافلة بالأحداث الهامة

---

(1) حجرة السيدة عائشة -رضي الله عنها- هى قبر الرسول -ﷺ- وكانت خارج المسجد وقد ضمت فى توسعة المسجد فيما بعد ومن أراد المزيد فليقرأ كتاب: «بيوت الرسول وبيوت الصحابة حول المسجد النبوى» الناشر: المكتبة التوفيقية.

Scanned by CamScanner

المؤثرة فى البيت النبوى، تسمع وتشاهد حتى صارت أحد فقيهات هذه الأمة.

وأحاطها الرسول -ﷺ- بالحب والرعاية، فقد كان يأتى بصواحبتها ليلعبن معها، وترك لها عرائسها تلهو بها كما كانت فى بيت أبيها.

وذكر البخارى وغيره عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها كانت تلعب بالعرائس ومعها صواحبتها فيخرجن خوفًا حين يجىء رسول الله -ﷺ- إلى البيت، فيدخل ويسر بهن إليها كى يلعبن معها.

وذات يوم دخل عليها رسول الله -ﷺ- وهى تلعب بالعرائس البنات وبينهن خيل لها أجنحة فسأله: «ما هذه يا عائشة» قالت: «خيل سليمان ولها أجنحة» فضحك(١).

وكبرت عائشة -رضي الله عنها- ونضجت فى بيت رسول الله -ﷺ-، وروت عنه أحاديث كثيرة بل ونزل فيها قرآن يتلى إلى يوم القيامة كما سنعرف فى حادثة الإفك.

صبرها ويقينها فى حادثة الإفك:

لم تشهد المدينة المنورة منذ أن قدمها رسول الله -ﷺ- حادثة ذات أثر سيئ على رسول الله -ﷺ- والمؤمنين من حوله مثل حادثة الإفك.. فالإفك هو الافتراء.

(١) رواه أبو داود وابن سعد فى طبقاته.

والافتراء والكذب إنما وقع هذه المرة على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وكان اتهامًا صريحًا من المنافقين بالمدينة لها فى شرفها.. وكان ذلك فى العام السادس من الهجرة.. فكيف حدث ذلك؟

القصة كما ترويها كتب الحديث والسيرة.. أن المسلمين حين خرجوا لغزوة بنى المصطلق، كانت عائشة -رضي الله عنها- مع رسول الله -ﷺ-، كعادته حين يخرج لغزو أو سفر يقرع بين نسائه.. وبعد انتصار الجيش الإسلامى وفى أثناء عودته للمدينة.. وقرب حدودها عسكر الجيش ليلاً فترة من الوقت للراحة.. وانصرف الجيش إلى المدينة سالمًا غانمًا بفضل الله، وحين استقر بهم الحال فى المدينة اكتشفوا أن عائشة ليست فى هودجها على البعير، ولم يمض وقتًا طويلاً حتى ظهرت عائشة -رضي الله عنها- مع جمل آخر يقوده رجل من الأنصار يسمى صفوان بن المعطل السلمى.. واطمأن النبى -ﷺ- عليها.

ولم ينكر أحد من المسلمين عليها شيئًا.. لأنهم علموا منها أنها تخلفت لقضاء حاجتها قبل أن يؤذن فى الناس بالرحيل، وفقدت عقد كان فى عنقها بعد عودتها من قضاء حاجتها، فذهبت تلتمسه فى رحلها فلم تجده، فرجعت إلى مكان قضاء الحاجة لعلها تجده هناك.

وبالفعل وجدت عقدها هناك، وعادت إلى هودجها، فوجدت القوم قد ذهبوا ببعيرها دون أن يشعروا أنها غير موجودة فى هودجها على بعيرها.

Scanned by CamScanner

وجلست عائشة -رضي الله عنها- فى مكانها وغطت نفسها بجلبابها.. لأنها متأكدة أنهم سيعودون إليها عندما يكتشفون غيابها.

ولم يمر وقت طويل حتى ظهر الصحابى صفوان السلمى الأنصارى وكان قد تخلف عن معسكر الجيش أيضًا لقضاء حاجته، وعرف السيدة عائشة -رضي الله عنها-، فقال: إن لله وإنا إليه راجعون.. زوجة رسول الله، ما خلفك يرحمك الله.

ولم ترد عليه عائشة.. فقرب إليها البعير.. وقال: اركبى.. وتأخر عنها حتى ركبت وأخذ بزمام البعير وانطلق مسرعًا نحو المدينة المنورة ليلحق بالجيش.. وبالفعل وصل فى الصباح عقب وصول الجيش مباشرة.

والقصة عادية لا ريب فيها أو شبهة، لكن اليهود والمنافقين بالمدينة وعلى رأسهم زعيم المنافقين عبد الله بن أُبىٍّ بن سلول أخذوا يطلقون الإشاعات ويقولون: والله لقد نال منها ونالت منه.

وانتشرت الشائعات بالمدينة.. ونسجت القصص الباطلة.. والناس بين مصدق ومكذب حتى بلغ الاتهام إلى رسول الله -ﷺ-.

وعائشة لا تدرى عن ذلك الأمر شيئًا وذلك لأنها مرضت عقب وصولها من تلك الرحلة، فلم تسمع ما يقال حولها من اتهامات وأباطيل من ضعاف الإيمان والمنافقين واليهود بالمدينة.

ومرت الأيام وانتقلت عائشة -رضي الله عنها- إلى بيت أمها أم رومان كى تمرضها، بعد أن رأت الجفاء فى معاملة رسول الله -ﷺ- على غير عادته معها.

ولم تدرِ عائشة بحادثة الإفك إلا بعد أكثر من عشرين يومًا وهى فى بيت أبيها وذلك من سيدة من المسلمين تسمى أم مسطح وكان ابنها قد خاض مع الخائضين فى هذا الحادث.

وازدادت عائشة -رضي الله عنها- مرضًا على مرض بعد أن علمت بما يقال عنها وظلت تبكى طوال يومها.

وتحكى عائشة -رضي الله عنها- عما حدث لها بعد ذلك فتقول: فبينا أبواى جالسان عندى وأنا أبكى دخل رسول الله -ﷺ- فسلم، ثم جلس، ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه فى شأنى شىء.. فتشهد رسول الله -ﷺ- حين جلس ثم قال:

«يا عائشة إنه بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه».

فلما قضى رسول الله -ﷺ- مقالته، قل من دمعى فلما أحس منه قطرة، فقلت لأبى: أجب عنى رسول الله -ﷺ- فيما قال. فقال أبى:

والله لا أدرى ما أقول لرسول الله -ﷺ-، فقلت لأمى: أجيبى عنى رسول الله -ﷺ- فيما قال. قالت أمى: فوالله ما أدرى ما أقول لرسول الله -ﷺ-.

فقلت: إنى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت أنى بريئة لا تصدقونى،

Scanned by CamScanner

ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى بريئة منه لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾(١).

ثم تحولت فاضطجعت على فراشى، والله يعلم أنى حينئذ بريئة، وأن الله مبرئى ببرائى، ولكن والله ما كنت أظن أن الله تعالى منزل فى شأنى وحيًا يتلى، لشأن فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله -ﷺ- فى القوم رؤيا يبرئنى الله بها، فوالله ما رام الله رسول الله -ﷺ- مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه لينحدر منه العرق مثل الجُمان وهو فى يوم شات -شديد البرد- من ثقل القول الذى أنزل عليه وغطى نفسه بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه. فسرى عن رسول الله -ﷺ- وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال:

«أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك».

وتنفس أبو بكر الصعداء وقالت أم رومان لابنتها: قومى إليه.

فقالت عائشة: لا والله لا أقوم إليه فإنى لا أحمد إلا الله الذى أنزل براءتى.

وخرج رسول الله -ﷺ- إلى المسجد معلنًا براءة عائشة -رضي الله عنها- للمسلمين ويقرأ عليهم ما نزل من القرآن فى حقها من سورة النور:

(١) سورة يوسف: ١٨.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١).

وقد ذكر القصة بتمامها البخارى فى صحيحه وغيره من أصحاب السنن والسير مثل الإمام مسلم وأحمد وغيرهما.

وهكذا كانت الحادثة الأليمة، وهكذا كان الفرج الإلهى.. وانفرج الهم عن رسول الله -ﷺ- وسائر المؤمنين ورد الله كيد المنافقين والكافرين ومرت هذه المحنة بمنحة ربانية لعائشة الصابرة -رضي الله عنها-.

تقول السيدة عائشة عما لحق بأبيها وأمها من جراء تلك الحادثة:

(١) سورة النور: ١١ - ٢٠.

Scanned by CamScanner

والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام.

ويقول ابن أختها عروة بن الزبير بن العوام: لو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً، وعلو مجد، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة.

موقف الصحابة من حادثة الإفك قبل نزول البراءة من الله:

لقد أشاع المنافقون واليهود الشائعات حول السيدة عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- واتهموها بالزنا، وكان موقف المسلمين تجاه تلك الشائعات بين مصدق ومكذب لها والبعض وقف صامتًا لا يصدق ولا يكذب، فهذه أم المؤمنين زينب بنت جحش يسألها رسول الله -ﷺ- عن عائشة -رضي الله عنها- فتقول له:

- يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت إلا خيرًا(١).

وتحكى كتب السيرة أن الرسول -ﷺ- سأل واستشار من حوله من الأصحاب والأقارب فيما يقال عن عائشة -رضي الله عنها- قبل نزول القرآن بالبراءة، فسأل أسامة بن زيد وعلى بن أبى طالب، فأشار أسامة بن زيد على رسول الله -ﷺ- بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم فى نفسه لهم من الود.. فقال: يا رسول الله أهلك ولا

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه.

نعلم إلا خيرًا. وأما على بن أبى طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدق الخبر.

أراد الإمام على بن أبى طالب -رضي الله عنه- أن يهون الأمر على رسول الله -ﷺ-، فهو لم يصدق ما يزعمه المنافقون، وأيضًا أشار عليه أن يسأل الجارية عن أخلاق وأحوال السيدة عائشة والجارية هى الخادمة الملازمة لسيدتها بالبيت، فدعا رسول الله -ﷺ- بالجارية واسمها بريرة فقال لها:

- **«أى بريرة هل رأيت من شىء يريبك من عائشة!»**

فقالت الجارية: والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن -الدواجن- فتأكله.

فقال الرسول -ﷺ- من يومه وقد أيقن فى نفسه براءة عائشة -رضي الله عنها- ودعا المسلمين إلى المسجد للحديث معهم فى هذا الأمر الهام فقال لهم:

- **«يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى فوالله ما علمت على أهلى إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلى إلا معى».**

فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال:

- أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا بأمرك.

Scanned by CamScanner

وقام سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان رجلاً صالحًا فأخذته الحمية فقال لسعد:

- كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان رهطك ما أحببت أن يقتل.

لقد كان يعلم الجميع أن رسول الله -ﷺ- يقصد زعيم المنافقين عبد الله بن أُبىٍّ بن سلول ولذلك فقد أخذت الحمية سعد بن عبادة لأنه من رهطه.

ورد أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ على سعد بن عبادة قائلاً:

- كذبت لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن منافق.

واشتد النقاش بين الأوس والخزرج وهموا بالقتال ورسول الله -ﷺ- ما زال على المنبر يأمرهم بالسكوت حتى سكتوا[1].

كان ذلك قبل نزول الآيات بالبراءة من الله فى قرآن يتلى كما ذكرنا.

وهناك حديث دار بين الصحابى أبى أيوب الأنصارى وزوجته يوضح أن تلك الحادثة كانت تشغل الرأى العام الإسلامى بشكل غير مسبوق، فيقول أبو أيوب الأنصارى لزوجته:

- يا أم أيوب، ألا ترين ما يقال؟

---

(١) نقلاً عن ابن كثير فى تفسيره بتصرف والحديث رواه البخارى وغيره أيضًا.

فقالت له: لو كنت بدل صفوان بن المعطل السُّلمى، أكنت تهم بسوء لمحرم الرسول -ﷺ-.

قال فى إنكار شديد:

- لا، معاذ الله أن أفكر بذلك.

قالت له زوجته:

- ولو كنت أنا بدل عائشة ما خُنت رسول الله -ﷺ-، فعائشة والله خير منى وصفوان خير منك.

هكذا كان رأى المسلمين فى عائشة قبل نزول آيات القرآن بالبراءة لها، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد اختبار الأمة حينها، فقال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾[1].

وأراد الله أن يعلم الأمة أن الاتهام الباطل بالزنا إثم عظيم، وأن الدليل عليه هو شهادة أربعة من الشهود، وأن الواجب على من سمع مثل تلك المقالة أن يقول: سبحانك هذا بهتان عظيم.

ويحذر الله المؤمنين أن يعودوا لمثل ذلك فى المستقبل، وينذر المنافقون بالعذاب الأليم فى الآخرة وأيضًا فى الدنيا.

وأقيم حد الافتراء على من رود تلك الشائعة وخاض بالباطل

---

(١) سورة النور: ١١.

Scanned by CamScanner

فى هذا الأمر، وأصبح ذلك من الحدود الشرعية فى الإسلام وهو حد القذف للمؤمنات المحصنات الغافلات.

وبعد نزول آيات البراءة من الله فى حق عائشة -﵂-، منع أبو بكر الصديق ما كان يعطيه من ماله صدقة لبعض أقاربه وهو مسطح بن أثاثة وكان مسكينًا لا مال له، وقد تكلم فى حق عائشة -﵂- بالباطل مع المنافقين -أى صدق ما قيل عنها- وحلف أبو بكر -﵁- ألا يعطيه ما كان يتصدق به عليه فأنزل الله قوله فى سورة النور:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(1).

فقال أبو بكر: بلى.. ووصله.

وسبحان الله العظيم.. رجل فقير يلوك فى عرض أحد أقاربه الذى يتصدق عليه.. وكان من الأولى أن يدافع عنه وهو أعلم الناس بأخلاقه وطهارته هو وأهله، ولكن فضل الله عظيم، وكان ما كان درسًا لا ينسى نتعلم منه نحن أيضًا والأمة الإسلامية إلى يوم القيامة، فليس من السهل أن نخوض فى أعراض الناس بالباطل مهما كان الأمر إلا أن يكونوا أهل باطل وفاحشة مبينة ظاهرة جلية.

وهكذا أسدل الستار عن تلك الحادثة.

والحمد لله رب العالمين.

(1) سورة النور: ٢٢.

من مناقب السيدة عائشة -﵂-:

فضائل السيدة عائشة كثيرة ذكرتها كتب السيرة والسنة فى مواضع كثيرة لا تحصى، نذكر منها أشهرها وأهمها، قال عنها الإمام الذهبى رحمه الله:

«كانت امرأة بيضاء جميلة، وثمَّ يقال لها الحميراء ولم يتزوج النبى -ﷺ- بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم فى أمة محمد -ﷺ-، بل ولا فى النساء مطلقًا امرأة أعظم منها»(1).

وكان لها نصيب وافر فى الجهاد فى سبيل الله حيث كانت تخرج مع رسول الله -ﷺ- تؤدى دورها مع الصاحبيات الأخريات من سقاية الجرحى والمجاهدين.. وذلك قبل نزول آيات الحجاب.

يروى أنس بن مالك -﵁- عما رأى فى غزوة أُحد فيقول:

ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم، وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما -أى الخلخال- تنقلان القرب -الماء- على متونهما، ثم تفرغانه فى أفواههم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم(2).

وتحدثت السيدة عائشة عن مناقبها وما تفردت به عن غيرها من النساء فقالت:

(1) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى.
(2) ذكره الشيخان.

Scanned by CamScanner

لقد نزل جبريل -عليه السلام- بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله -ﷺ- أن يتزوجنى، ولقد تزوجنى بكرًا وما تزوج بكرًا غيرى، ولقد توفى رسول الله -ﷺ- وإن رأسه لفى حجرى، ولقد قبر فى بيتى، ولقد حفت الملائكة بيتى، وإن كان الوحى لينزل عليه وأنا معه فى لحافه، فما ينبينى عن جسده، وأنى لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذرى من السماء، ولقد خلقت طيبة عند طيب، ولقد وُعدتُ مغفرة ورزقًا كريمًا(١).

وقال أهل العلم: إن السيدة عائشة -رضي الله عنها- برأها الله فى قرآن يتلى من فوق سبع سمٰوات، وأن يوسف -عليه السلام- برأه الله على لسان صبى صغير، وأن مريم بنت عمران برأها الله على لسان عيسى -عليه السلام- وهو فى المهد. وكانت برأة عائشة -رضي الله عنها- من الله مباشرة وتلك فضيلة لا يعدلها فضل.

ومن فضائلها أيضًا أن آية التيمم نزلت بسببها ففى أحد الغزوات وهى غزوة بنى المصطلق خرجت عائشة -رضي الله عنها- مع رسول الله -ﷺ-، وحين وصل الجيش فى منطقة تسمى ذات الجيش بين المدينة وخيبر انسلت قلادة من عنق أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- فأقام الرسول -ﷺ- على التماسه وقام الناس معه حتى طلع الفجر وليس على القوم ماء، فأتى الناس أبا بكر -رضي الله عنه- وقالوا له: ألا ترى ما صنعت عائشة! أقامت برسول الله -ﷺ- وبالناس وليسوا على ماء.

(١) أخرجه أصحاب السير والسنن مثل أبى يعلى فى مسنده وبمعناه الذهبى فى السير وابن سعد وغيرهم.

فجاء أبو بكر إلى عائشة ورسول الله -ﷺ- واضع رأسه على فخذها قد نام، فقال أبو بكر لها: حبست رسول الله -ﷺ- والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟

وغدا أبو بكر -رضي الله عنه- يعاتبها، وجعل يطعن بيده فى خاصرتها، ولا يمنعها من التحرك إلا مكان رأس رسول الله -ﷺ- على فخذها، وراح أبو بكر -رضي الله عنه- يزيد فى عتابها، ويقول: فى كل سفر للمسلمين منك عناء وبلاء.

ونام رسول الله -ﷺ- على غير ماء وأنزل الله عز وجل آية التيمم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(١).

وقال الصحابى أُسيد بن حضير الأنصارى -رضي الله عنه- لأبى بكر الصديق -رضي الله عنه-: ما هذا بأول بركتكم يا آل أبى بكر، لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر ما أنتم إلا بركة لهم.

وقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- لابنته عائشة -رضي الله عنها- بعد نزول آية التيمم: والله ما علمت يا بنية إنك لمباركة؟ ماذا جعل الله للمسلمين فى حبسك إياهم من البركة واليسر(٢).

(١) سورة النساء: ٤٣.
(٢) الحديث فى البخارى ومسلم بطرق مختلفة وذكرناه هنا باختصار وتصرف.

Scanned by CamScanner

وفرح المسلمون بتلك الرخصة التى منحها الله إياهم وظلت لهم ولمن بعدهم إلى يوم الدين، وذلك ببركة السيدة عائشة -رضي الله عنها-، فكانت تلك القلادة الضائعة السبب فى بقاء المسلمين فى مكانهم حتى أصبحوا بلا ماء ثم جاءت الرخصة من الله، والعجيب أنهم وجدوا القلادة تحت البعير الذى كانت عليه أم المؤمنين -رضي الله عنها-.

علمها -رضي الله عنها-:

وكانت -رضي الله عنها- أعلم المسلمين بأحاديث رسول الله -ﷺ-، وكان الصحابة يقصدونها لسؤالها عن أحاديث الرسول -ﷺ- بعد وفاته، فقال عروة بن الزبير عنها: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة -رضي الله عنها- فكانت ذا دراية بالقراءة والكتابة، وروت الكثير من أحاديث الرسول -ﷺ- لكثرة مصاحبتها إياه فى الحضر والسفر، وكذلك روت عن أبيها وكثير من الصحابة -رضوان الله عليهم-، وروى عنها أيضًا الكثير من الصحابة والتابعين.

وانفرد البخارى بأربعة وخمسين حديثًا لها وانفرد مسلم بتسعة وستين حديثًا لها.

قال أبو موسى الأشعرى: ما أشكل علينا أصحاب محمد -ﷺ- حديث قط، فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها منه علمًا[1].

وقال الإمام مسروق بن الأجدع عنها:

(١) ذكره الترمذى وقال: حديث صحيح غريب.

والله لقد رأيت أصحاب محمد -ﷺ- الأكابر يسألونها عن الفرائض[1].

وقال عطاء بن رباح -من التابعين-: كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأيًا فى العامة.

جودها وكرمها:

وعن زهدها وورعها بعد وفاة الرسول -ﷺ- ما ذكره عروة بن الزبير بن العوام: لقد رأيت عائشة -رضي الله عنها- تقسم سبعين ألفًا، وإنها لتُرقع جيب درعها[2].

وبعث إليها معاوية بن أبى سفيان وهو الخليفة ذات مرة بمائة ألف درهم فما مست منها شيئًا ووزعتها فى سبيل الله وقالت لها خادمتها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحمًا! فقالت لها عائشة -رضي الله عنها-: ألا قلت لى؟ وكانت يومها صائمة[3].

وقال عنها رسول الله -ﷺ-:

«فضل عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام»[4].

رؤيا عائشة -رضي الله عنها- دفن الرسول -ﷺ- فى حجرتها:

قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها- لأبيها أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- ذات يوم:

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى وغيره.
(٢) حلية الأولياء وعروة بن الزبير ابن أختها أسماء بنت أبى بكر -رضي الله عنهم أجمعين-.
(٣) سير أعلام النبلاء بتصرف.
(٤) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

Scanned by CamScanner

«رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطت فى حجرى».

فقال لها: إن صدقت رؤياك دفن فى بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض.

فلما مات رسول الله -ﷺ- فى حجرتها ودفن فيها، قال أبو بكر -رضي الله عنه-: هذا أحد أقمارك وهو خيرها.

ثم دفن أبو بكر -رضي الله عنه- ثم دفن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهكذا تحققت الرؤيا الصادقة(١).

وفاتها -رضي الله عنها-:

عاشت -رضي الله عنها- حتى بلغت السادسة والستين من عمرها، ومرضت مرض الموت فى السنة الثامنة والخمسين من الهجرة وتوفيت بالمدينة المنورة وصلى عليها الصحابى أبو هريرة -رضي الله عنه- فى شهر رمضان المبارك ودفنت حسب وصيتها بالبقيع مع أمهات المؤمنين وآل البيت النبوى -رضي الله عنهم أجمعين-، ونزل فى قبرها خمسة من محارمها منهم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر، -رضي الله عنها وأرضاها-.

(١) ذكره القرطبى فى بهجة المجالس.

٢

أسماء بنت أبى بكر -رضي الله عنها-

ذات النطاقين

بطلة يوم الهجرة

ذات الشجاعة النادرة

[٢] أسماء بنت أبى بكر الصديق -رضي الله عنها-
«ذات النطاقين»

امرأة ذات مكانة عظيمة فى الإسلام وذات شجاعة نادرة وبطولة.. وليس عجبًا أن تكون كذلك فهى ابنة الصديق وأخت الصديقة وزوجها صحابى جليل وابنها صحابى جليل، كان أول مولود فى الإسلام بعد الهجرة.

أبوها الصديق -رضي الله عنه- كان أول خليفة للمسلمين بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وابنها عبد الله بن الزبير بن العوام تولى الخلافة أيضًا بعد موت يزيد بن معاوية بن سفيان.. وزوجها من المبشرين بالجنة.

إنها الصاحبية أسماء بنت أبى بكر الصديق -رضي الله عنها- أخت السيدة عائشة من أبيها.

أمها: قتيلة بنت عبد العزى العامرية.

ولا ننسى أيضًا أن جدها أبا قحافة -رضي الله عنه- صاحبى أيضًا، وحماتها صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ذلك هو نسبها.. فهى صهر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

إسلامها وموقفها فى الهجرة:

أسلمت أسماء قديمًا بمكة وكانت أكبر من أختها عائشة ببضع

Scanned by CamScanner

عشرة سنة، وكانت السابعة عشرة ممن أسلموا فى مكة، فقد كان أبوها أول من أسلم من الرجال.

وفى يوم الهجرة.. يوم أن أراد المشركون قتل رسول الله -ﷺ-.. وجاء الأمر الإلهى إليه بالهجرة وجاء النبى -ﷺ- لصديقه أبى بكر الصديق كى يصحبه فى رحلة الهجرة، وسارا الاثنين إلى غار ثور.. حتى تهدأ قريش من حملتها فى البحث عنه.. وكان يستلزم لهما الزاد فى أيام الاختفاء فى الغار.

وكلنا نعلم أحداث الهجرة جيدًا ونذكر منها دور أسماء البارز فى الهجرة.. فكانت تأتى إلى النبى -ﷺ- وصاحبه أبى بكر الصديق أبيها بالزاد والماء كل ليلة.. تمشى ثلاثة أميال تقريبًا حتى تصل إلى الغار ومعها الزاد والماء وأيضًا الأخبار.

وحين أرادت أن تعلق الزاد والماء لم تجد ما تعلقه قطعت نطاقها نصفين وأخذت نصفه كى تعلق به الزاد وبالآخر الماء، وحين رآها رسول الله -ﷺ- وقد شقت نطاقها نصفين قال لها: «**قد أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة**»(١). وسميت من يومها بذات النطاقين.

وقد تحملت أسماء -﵂- أذى المشركين حين جاءوا إلى منزل أبيها يبحثون عن رسول الله -ﷺ- وعن أبيها، فقال لها أبو جهل لعنه الله: أين أبوك يا بنت أبى بكر.

فردت بشجاعة وثبات: لا أدرى.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى وغيره.

فلطمها أبو جهل لطمة حتى وقع قرطها من شدة اللطمة، ولكنها لم تهتز ولم تفض بسر أبيها وصاحبه رسول الله -ﷺ-.

وحين دخل عليها جدها أبو قحافة بعد خروج مشركى قريش وانتشار الخبر بمكة أن محمدًا -ﷺ- خرج وصاحبه أبو بكر -﵁- متوجهين إلى المدينة المنورة «يثرب» وكان أبو قحافة كفيفًا فقال لها: والله إنى أراه -أى أبا بكر- قد فجعكم بماله مع نفسه.

فقالت الابنة المؤمنة:

- كلا يا أبت.. إنه ترك لنا خيرًا كثيرًا.

وأخذت أحجارًا وضعتها فى كوة بالمنزل كان أبو بكر الصديق يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا وأخذت بيد جدها وقالت له: يا أبت ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه. فقال: لا بأس إذا ترك لكم هذا فقد أحسن.. وفى هذا بلاغ لكم.

وكان أبو بكر -﵁- لم يترك لهم شىء(١) من المال.

أسماء مثال للزوجة المؤمنة الصابرة:

تزوجت -﵂- بالصحابى الجليل الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله -ﷺ- وذلك بمكة المكرمة قبل الهجرة النبوية، وهاجرت وهى حامل فى ابنها عبد الله فولدته بالمدينة المنورة فكان أول مولود

(١) البداية والنهاية لابن كثير وغيره.

Scanned by CamScanner

فى الإسلام للمهاجرين بعد الهجرة وبعد أن أشاع اليهود أن نسل المسلمين قد انقطع.

وعاشت أسماء -رضي الله عنها- فى بيت زوجها صابرة تحملت شظف العيش وأعباء الحياة الزوجية، وعن حياتها فى بيت زوجها قالت: كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكان له فرس، وكنت أسوسه، وكنت أحتشى له وأقوم عليه[١].

وكانت تنقل النوى على رأسها لأرض زوجها وتسقى الماء وسائر الأعباء الأخرى خارج المنزل وداخله رغم ما تلاقيه من شدة معاملة زوجها لها، وحين شكت ذلك لأبيها الصديق -رضي الله عنه- قال لها:

- يا بنية اصبرى، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تتزوج بعده جُمع بينهما فى الجنة[٢].

وكانت أسماء -رضي الله عنها- مثال الكرم والجود فى العطاء فقد أوصاه النبى -ﷺ- وكان قد مر عليها وهى تحصى -أى تَعدُّ- شيئًا وتكيله فقال لها:

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) ذكر الذهبى فى سير أعلام النبلاء أن أسماء -رضي الله عنها- طلقها الزبير بن العوام طلقة بائنة وأن سبب طلاقها أن الزبير ضربها فصاحت بابنها عبد الله فأقبل إليها فلما رآه أبوه قال: أمك طالق إن دخلت. فقال عبد الله: أتجعل أمى عرضة ليمينك ودخل فخلصها منه، فباتت منه. ولحقت بيت ابنها عبد الله بقية حياتها ولم تتزوج عسى أن يجمع الله بينها وبين زوجها الزبير فى جنته.

- «**يا أسماء لا تحصى فيحصى الله عليك**».

فما أحصت شيئًا بعد ذلك ولم ينفذ رزقها أبدًا.

وكانت تحث بناتها على العطاء بسخاء فتقول لهن:

- يا بناتى تصدَّقن ولا تنتظرن الفضل فإنكن إن انتظرتن الفضل لن تجده، وإن تصدقن تجدن فقده.

علمها وفقهها -رضي الله عنها-:

كانت مثل أختها عائشة -رضي الله عنها- ذات علم فى الدنيا وفقه، روت الأحاديث عن النبى -ﷺ-، وكانت من فقيهات نساء الصحابة، وحدث عنها عدد من الصحابة والتابعين منهم حفيدها عبد الله بن عروة بن الزبير فقال:

قلت لجدتى أسماء: كيف كان أصحاب رسول الله -ﷺ- إذا سمعوا القرآن؟

قالت: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، كما نعتهم الله.

قال: فإن ناسًا ها هنا إذا سمع أحدهم القرآن خر مغشيًا عليه.

قالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وكانت إذا صلت أطالت القيام والقراءة والتدبر حتى تظل تكرر الآية مرارًا وتكرارًا من الخوف والوجل من الله عز وجل.

ولما كانت أسماء ذات فقه فى الدين وورع شديد فإنها حين

Scanned by CamScanner

جاءتها أمها وكانت مشركة بهدايا، أبت أن تقبلها حتى تسأل رسول الله -ﷺ-، فجاء رد الرسول -ﷺ- أن تقبل الهدايا وأن تبر أمها لقوله تعالى:

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١).

وهذا الحديث أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه وغيره من أصحاب السنن.

أول مولود فى الإسلام للمهاجرين بالمدينة المنورة:

كان ابنها عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما- أول مولود يولد للمهاجرين بعد الهجرة النبوية، فقد هاجرت أسماء -رضي الله عنها- بعد هجرة زوجها وهجرة رسول الله -ﷺ- للمدينة حين أرسل أبوها أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- من يأتى بأهله من مكة إلى المدينة.. وهاجرت أسماء -رضي الله عنها- وكانت فى شهور الحمل الأخيرة، فما إن وصلت إلى قباء على حدود المدينة المنورة حتى وضعت حملها، وجاءت به إلى رسول الله -ﷺ- فوضعته فى حجره الشريف فدعا بتمرة فمضغها، ثم تفل فى فيْه ودعا له، وبرَّك عليه وحنكه بالتمرة فكان أول شىء يدخل جوفه ريق رسول الله -ﷺ-، وفرح المهاجرون به كثيراً وكبروا وعلا تكبيرهم، فقد أشاع اليهود أنهم سحروا المهاجرين أصحاب رسول الله

(١) سورة الممتحنة: ٨.

-ﷺ- فلا يولد لهم مولود، فكان تكبيرهم تكذيبًا لادعاءات اليهود(١).

وربت أسماء ابنها على الشجاعة والبطولة وحب الإسلام ورسول الإسلام -ﷺ-.

وأنجبت أسماء -رضي الله عنها- أولادها: عبد الله - والمنذر - وعروة، وعاصم، والمهاجر، وخديجة وأم الحسن وعائشة.

روايتها للحديث النبوى:

ذكرنا أنها روت الكثير من أحاديث رسول الله -ﷺ- فكانت أكثر بنات الصحابة فى ذلك بعد أختها عائشة -رضي الله عنها-، فقد روت قرابة ثمانية وخمسين حديثًا، بينما روى زوجها الزبير بن العوام -رضي الله عنه- ثمانية وثلاثين حديثًا.

وروى عنها ابناها عبد الله، وعروة وحفيدها عبد الله بن عروة ومولاها: عبد الله بن كيسان، وابن عباس ومحمد بن المنكدر ووهب ابن كيسان.

وكذلك فاطمة بنت المنذر بن الزبير وصفية بنت شيبة وأم كلثوم مولاة الحجَبَة وغيرهم.

(١) ذكر الطبرى فى تاريخه القصة فقال عن عبد الله بن الزبير: أول مولود يولد للمهاجرين فى دار الهجرة، فكبر أصحاب رسول الله -ﷺ- حين وُلد، وذلك أن المسلمين كانوا قد تحدثوا أن اليهود يذكرون أنهم قد سحروهم فلا يولد لهم. فكان تكبيرهم ذلك سروراً منهم بتكذيب الله اليهود فيما قالوا من ذلك.

Scanned by CamScanner

واتفق البخارى ومسلم على أربعة عشر حديثًا لها وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بأربعة(١).

ومن الأحاديث التى روتها السيدة أسماء بنت أبى بكر -رضي الله عنها- نذكر منها:

قالت أسماء بنت أبى بكر: قال رسول الله -ﷺ-: **«إنى على الحوض حتى أنظر من يرد علىّ منكم، وسيوجد أناس دونى، فأقول: يا رب، منى ومن أمتى، فيقال: ما شعرت ما علموا بعدك، والله ما برحُوا بعدك يرجعون على أعقابهم»**(٢).

وقالت أيضًا عن علاج الحمى بالماء قولها:

أن رسول الله -ﷺ- قال: **«أبردوها بالماء، إنها من فيح جهنم»**(٣).

وقالت: قال رسول الله -ﷺ-: **«حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من الورِق وريحه أطيب من المسك، كيزانه -أكوابه- كنجوم السماء، من شرِب منه لم يظمأ بعدها أبدًا»**(٤).

وحديث رسول الله -ﷺ-: أن امرأة أتت النبى -ﷺ- فقالت له: يا رسول الله إن لى ابنة عريسًا، وأنه أصابتها حصبة فتمرق

(١) الإصابة لابن حجر وأعلام النساء.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخارى ومسلم.
(٤) رواه مسلم.

شعرها، أفأصله؟ فقال رسول الله -ﷺ-: **«لعن الله الواصلة والمستوصلة»**(١).

أسماء تواجه الحجاج الثقفى:

عاشت -رضي الله عنها- حتى بلغت المائة من عمرها.

وكان ابنها عبد الله بن الزبير قد تولى إمرة المسلمين ثمان سنوات، ودانت له الجزيرة العربية والعراق واليمن، وتولى عبد الملك ابن مروان إمارة الشام ونازعه فى إمارة المؤمنين وحاربه وأرسل إليه جيشًا يقوده الحجاج بن يوسف الثقفى.

وفى عام ٧٣هـ وصل جيش الحجاج إلى مكة وهاجر عبد الله ابن الزبير -رضي الله عنه-، وتحصن عبد الله بن الزبير بالكعبة بعد مشورة أمه أسماء -رضي الله عنها- وبعد أن تخلى عنه الكثير من أتباعه وأعوانه، ولم يستطع الحجاج الثقفى رغم ذلك القضاء عليه، فكان أحد أبطال الإسلام وشجعانها(٢).

ودخل عبد الله بن الزبير وكان عمره يومئذ ثلاثة وسبعين عامًا وأمه أسماء -رضي الله عنها- قد كف بصرها وعمرها مائة عام يستشيرها فيما عرضه عليه الحجاج من الصلح معه وإعطائه إمارة الحجاز فى ظل دولة بنى أمية -أى يتنازل عن الخلافة- فقال لأمه:

(١) رواه أحمد فى مسنده.
(٢) انظر سيرته العطرة فى كتابنا المهدى المنتظر أحد الخلفاء الراشدين للناشر دار التوفيقية بالأزهر.

- يا أمه، خذلنى الناس حتى أهلى وولدى، ولم يبق معى إلا اليسير ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار، وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك!

فكان ردها كلمات سجلها لها التاريخ بحروف من نور وصدق:

- الله الله يا بنى، إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه فامض عليه، ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى أمية فيلعبوا بك، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن معك، وإن قلت: إنى كنت على حق فلمًّا وهَنَ أصحابى، ضعفت نيتى، فليس هذا فعل الأحرار، ولا من فيه خير، كم خلودك فى الدنيا؟ القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير، والله لضربة بالسيف فى عز أحب إلىَّ من ضربة السوط فى ذل.

فقال لها: يا أماه، أخاف إن قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى.

وجاءت قولتها الأخرى المشهورة التى سجلها لها التاريخ الإنسانى على مر العصور حتى يفيق كل نائم ويرتقى كل جبان يسعى إلى الدنيا الفانية وأصبحت ضربًا من الأمثال:

- ابنى إن الشاة لا يضُرها السلخ بعد الذبح يا بنى امض على بصيرتك واستعن بالله.

فقبَّل عبد الله رأسها وقال لها: هذا والله رأيى والذى قمت به

داعيًا إلى الله، ولكنى أحببت أن أطلع على رأيك فيزيدنى قوة وبصيرة مع قوتى وبصيرتى.

وحين تحسست صدره فوجدت الدرع الذى يتحصن به المقاتلين فأمرته بخلعه حتى يستطيع القتال بخفة ولا يركن إلى شىء يحميه من سيوف أعدائه سوى شجاعته.

وخرج عبد الله بن الزبير -﵁- من عندها وقد اشتد عوده وعزمه وقاتل قتال الأبطال ولم يستطع الحجاج ولا جنوده النيل منه أو دخول البيت الحرام الذى تحصن به حتى رمى الحجاج وجنوده الكعبة بالمناجيق فوقع فوقه إحدى شرفات المسجد فمات من فوره وكان قائمًا يصلى لله.

وصلب الحجاج الثقفى جثمان عبد الله بن الزبير على الخشب وظل مدة مصلوبًا.

وحين قتل عبد الله بن الزبير بن العوام -﵁- كبر أهل الشام من جنود الحجاج لمقتله، فقال الصحابى الجليل عبد الله بن عمر -﵄-: ما هذا؟ فقالوا له: كبَّر أهل الشام لقتل عبد الله بن الزبير.

فقال لهم: الذين كبروا لمولده خيرٌ من الذين كبروا لقتله.

وحين صلب عبد الله بن الزبير -﵄- وقف عنده عبد الله بن عمر -﵄-: والله، إن كُنت ما علمت صوَّامًا وصُولاً للرحم، أما والله لأُمَّة أنت شرها لأُمَّة خير.

Scanned by CamScanner

صبرها واحتسابها:

وحين علمت أسماء بنت أبى بكر -رضي الله عنها- بمقتل ابنها وصلبه قالت: اللهم لا تُمتنى حتى أوتى به فأحنطه وأكفنه.

وصبرت أسماء -رضي الله عنها- صبرًا جميلاً، وأرسل إليها الحجاج أن تأتيه، فأبت، فجاءها وقال لها:

- كيف رأيتنى صنعت بعدو الله؟

قالت له بشجاعة نادرة:

- رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك. بلغنى أنك تقولين له: يا بنى ذات النطاقين!

أنا والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وطعام أبى بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التى لا تستغنى عنه، أما إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدَّثنا:

«إن فى ثقيف كذابًا ومبيرًا» فأما الكذَّاب فرأيناه، وأمَّ المبير(١) فلا أخالك إلا إياه.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم، والكذاب رجل من ثقيف ادعى النبوة فى عهده عبد الله بن الزبير، وقتل، والمبير هو كثير القتل. ظلمًا وعدوانًا فكان ردها دليل فقهها وعلمها.. وجاء فى كتب السيرة أيضًا أن الحجاج حين جاءها ولسانه لا يكف عن سب عبد الله ابنها قالت له:
- أما آن للراكب أن ينزل؟
فقال: المنافق -يقصد ابنها-؟
قالت: والله ما كان منافقًا، كان صوامًا قوامًا برًّا.
قال: اسكتى يا عجوز، فقد خرفتى.
قالت له فى شجاعة: لا والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **«يخرج من ثقيف كذاب ومبير»** فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت.

فانصرف عنها الحجاج ولم يراجعها وأمر أن ينزل عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- من على الصلب وتحقق لها ما دعت به الله، فغسلته بماء زمزم وحنطته وكفنته وصلت عليه ودفنته فى قبره عام ٧٣هـ.

وفاتها:

توفيت -رضي الله عنها- بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهم أجمعين- بأيام قليلة، فما أتت عليها جمعة حتى ماتت بعدها عام ٧٣هـ.

وصيتها -رضي الله عنها-:

ومن وصيتها لأهلها:

«اجمروا ثيابى إذا مت، ثم حنطونى، ولا تذروا على كفنى حنوطًا، ولا تتبعونى بنار ولا تدفنونى ليلاً.

ودفنت بجوار ابنها عبد الله بن الزبير بمكة على الأرجح وقيل أنها ماتت بالمدينة ودفنت بها والله أعلم. -رضي الله عنها وأرضاها-.

Scanned by CamScanner

[٣] أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق -رضي الله عنها-

«نبأ بها أبو بكر -رضي الله عنه- وهى فى بطن أمها»

الابنة الثالثة من بنات الصديق أبى بكر -رضي الله عنه- وآخر ذريته، ولدت بعد وفاته، فقد كانت أمها حامل بها حين مات بالمدينة وهو خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ولما حضرت الوفاة أبا بكر -رضي الله عنه- قال لابنته عائشة -رضي الله عنها-: يا بنية ما من الناس أحد أحب إلىّ غنى منك، ولا أعز علىّ فقرًا بعدى منك، وإنى كنت نحلتك جَدَد عشرين وسقًا، فلو حددته واحترزته كان لك، وإنما هو اليوم مال إرث، وإنما هو أخواك وأختاك، فاقسموه على كتاب الله.

فقالت عائشة -رضي الله عنها-: يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هى أسماء، فمن الأخرى.

قال: ذو بطن ابنة خارجة، أراها جارية.

قد ألقى فى روعى أنها جارية، فاستوصى بها خيرًا(١).

فولدت امرأته بعد وفاته أم كلثوم وتربت فى حجر عائشة أختها -رضي الله عنها- كما أوصاها أبوها -رضي الله عنهم- أجمعين-.

أمها هى: الصاحبية حبيبة بنت خارجة -رضي الله عنها-.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى.

عاشت أم كلثوم بنت الصديق فى كنف أختها عائشة -رضي الله عنها- وكانت ذات تقى وصلاح وعلم وفقه مثل أختيها رغم أنها لم تعاصر أباها ولم تشاهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولكنها تعد من التابعيات ومن أهل زمان القرن الأول -قرن النبوة الذى هو خير القرون-.

خطبة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لها:

وحين بلغت سن الزواج خطبها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد أن أشار عليه أحد الصحابة أن يتزوجها إكرامًا لأبيها وصديقه أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- فقال له:

- ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبى بكر فتحفظه بعد وفاته وتخلفه فى أهله.

فقال عمر -رضي الله عنه-: بلى أحب ذاك.

وأرسل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى السيدة عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- يخطب أختها أم كلثوم فقالت لرسول عمر بن الخطاب:

- حبًّا وكرامة.

ولكن عائشة -رضي الله عنها- رأت أن أختها الصغيرة لن تتحمل شظف العيش مع عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين، وأرادت لها زوجًا أكثر لينًا فى عيشه من عمر، ودخل عليها الصحابى المغيرة بن شعبة وهى مهمومة وسألها عما أهمها فأخبرته بخطبة عمر بن الخطاب لأختها الصغرى أم كلثوم وقالت: إن هذه جارية حدث وأردت لها ألين عيشًا من عمر.

Scanned by CamScanner

فقال لها المغيرة: علىَّ أن أكفيك.

وخرج من عندها ودخل على عمر فقال له:

- يا أمير المؤمنين، قد بلغنى ما أتيته من صلة أبى بكر الصديق فى أهله وخطبتك أم كلثوم فقال عمر: قد كاف ذاك.

قال المغيرة: إلا أنك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهلك، وهذه صبية حديثة السن، فلا تزال تنكر عليها الشىء، فتضربها فتصيح، فيغمك ذلك، وتتألم عائشة ويذكرون أبا بكر فيبكون عليه، فتجدد لهم المصيبة مع قرب عهدها فى كل يوم.

فقال عمر له: متى كنت عند عائشة واصدقنى؟

قال المغيرة: آنفًا.

فقال عمر: أشهد أنهم كرهونى.

وصرف عمر بن الخطاب أمر الخطبة لأم كلثوم بنت أبى بكر -رضي الله عنهم-.

زواجها من طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه-:

وتزوجت أم كلثوم -رضي الله عنها- بالصاحبى الجليل طلحة بن عبيد الله أحد المبشرين بالجنة.. سماه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بطلحة الفياض وطلحة الجود، وقال أيضًا: **«من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشى على رجليه، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»**(١).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى.

فقهها وحسن مشورتها:

كانت -رضي الله عنها- فقيهة ذات صلاح وورع، دل على ذلك ما ذكره أصحاب السير أن زوجها طلحة -رضي الله عنه- أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف فبات ليلته يتململ. فقالت له زوجته أم كلثوم: مالك؟

قال: تفكرت منذ الليلة فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال فى بيته؟

قالت: فأين أنت من بعض أخلائك فإذا أصبحنا فادع بجفان وقصاع فقسمه.

فقال لها: رحمك الله، إنك موفقَّة بنت موفَّق.

فلما أصبح دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علىٍّ منها بجفنة، فقالت زوجته له: أبا محمد! ما كان لنا فى هذا المال من نصيب؟

قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقى. فأخذت ما تبقى وكان ألف درهم(١).

وأنجبت أم كلثوم بنت الصديق من الصحابى طلحة بن عبد الله ثلاثة أولاد هم زكريا ويوسف وعائشة.

وقتل طلحة -رضي الله عنه- يوم موقعة الجمل.

(١) مختصر تاريخ دمشق، وذكره الذهبى فى السير.

Scanned by CamScanner

وعادت أم كلثوم -رضي الله عنها- بعد موقعة الجمل مع أختها عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- إلى مكة وحجت بها. ثم تزوجت بعد ذلك من عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة وأنجبت له أربعة أولاد هم: إبراهيم وموسى وأم حميد وأم عثمان.

-رضي الله عنها وأرضاها-.

بنات أبى سفيان صخر بن حرب -رضي الله عنه-

[٤] أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان -رضي الله عنها-

[٥] أم الحكم بنت أبى سفيان -رضي الله عنها-

Scanned by CamScanner

٤

أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان

- رضى الله عنها -

أم المؤمنيــــــن

- المهاجرة الصابرة
- تزوجـهـا الـرسـول - صلى الله عليه وسلم - وهى فى دار الهجرة بالحبشة.
- أبوها زعـيم قريش فى غـزوة أُحد والخندق أسلـم يوم فتح مكة.

Scanned by CamScanner

[٤] أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان - رضي الله عنها -

أبوها زعيم قريش أبو سـفيان صخر بن حرب بن أمـية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىٍّ بن كلاب.

أخوها معاوية بن أبى سفيان.

أسلم أبو سفيان بن حرب يوم فتح مكة مكرهًا ثم صلح إسلامه وكـان من دهـاة الـعـرب ومـن أهـل الـرأى وشـهـد الغـزوات مع الرسـول -ﷺ- بعـد فتح مكة مـثل حنين وغزوة الطائف، فـقلعت إحدى عينيه فيها وهو يحرض المسلمين على الجهاد، وقلعت الأخرى يوم معـركة اليـرموك فى عـهد أبى بكر الصـديق، وكان يصـيح فى المسلمين قائلاً:

- الله، الله، إنكم أنصار الإسلام ودارة الـعرب، وهؤلاء أنصار الشرك ودارة الروم، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك.

وكان أكـبر مـن رسول الله -ﷺ- بعشـر سنوات وتوفى بعده بعشرين عامًا وعمره نحو التسعين سنة(١).

إسلامها -رضي الله عنها-:

وأما ابنته أم المؤمنين «رملة» وتكنى «أم حبيبة» فقد أسلمت قديمًا بمكة فى أول الدعـوة هـى وزوجـهـا الأول عـبـيـد الله بن جـحش

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى.

الأسدى، وكان قبل إسلامه على دين النصرانية حيث كان هو وقلة قليلة هم أربعة من أهل مكة عبدوا الله على دين النصرانية وملة إبراهيم -عليه السلام- وهم ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث بن أسد وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش.

هجرتها -رضي الله عنها-:

وحين اشتد أذى الكفار بالمسلمين الأوائل بمكة أذن لهم النبى -ﷺ- بالهجرة، فكان من المهاجرين عبيد الله بن جحش وزوجته رملة بنت أبى سفيان فى الهجرة الثانية إلى الحبشة وكانت حاملاً منه، وأنجبت ابنتها حبيبة وبها تكنى وذلك فى الحبشة.

ثباتها على الإسلام -رضي الله عنها-:

وعاشت أم حبيبة فى دار الهجرة صابرة مؤمنة تحافظ على دينها وإسلامها، وذات ليلة رأت أم حبيبة -رضي الله عنها- فى منامها زوجها عبيد الله بن جحش بأسوأ صورة وخلقة، ففزعت من تلك الرؤيا.

وفى اليوم التالى.. أخبرها زوجها أنه عاد إلى دين النصرانية وترك الإسلام ودعوة محمد -ﷺ- ودعاها إلى الدخول فى ملة النصرانية وترك دين الإسلام، فأبت وأنكرت عليه ما أقدم عليه وعاد له، وحاولت أن تعيده إلى دين الإسلام دون جدوى، وانفصلت عنه وتركته وعاشت وحيدة فى ديار الغربة، ولم يلبث زوجها أن مات وهو على دين النصرانية مرتداً عن الإسلام.

زواجها من النبى -ﷺ-:

وعلم الرسول -ﷺ- بأخبار أم حبيبة -رضي الله عنها- وارتداد زوجها عن الإسلام ثم وفاته، وكان النبى -ﷺ- قد هاجر إلى المدينة المنورة، فرأى أن يكرمها فعزم على الزواج منها وهى بدار الهجرة فأرسل عمرو بن أمية إلى النجاشى ملك الحبشة كى يزوجه من أم حبيبة وأن يكون النجاشى وكيله فى عقد الزواج.

وأرسل النجاشى جاريته إلى أم حبيبة كى تزف إليها البشرى، ففرحت أم حبيبة لذلك فرحًا شديدًا، وأهدت الجارية التى بشرتها سوارين من فضة وخلخالين وخواتيم من فضة.

وأتم النجاشى الزواج المبارك بنفسه ودفع صداق أم حبيبة أربعمائة دينار وكان ذلك أكبر صداق لزوجات النبى -ﷺ-.

وفى حفل الزواج حضر المهاجرون من المسلمين وعلى رأسهم جعفر بن أبى طالب وخطب النجاشى خطبة الزواج فقال:

«الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم، أما بعد: فإن رسول الله -ﷺ- كتب إلىَّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله -ﷺ- وقد أصدقها أربعمائة دينار».

ثم سكب الدنانير بين يدى القوم من المسلمين وجلس مكانه، وخطب وكيل العروس خالد بن سعيد بن العاص قائلاً:

«الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله

Scanned by CamScanner

وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله -ﷺ- وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان. فبارك الله لرسول الله -ﷺ-.

وقبض وكيل العروس المهر، ودعا النجاشى المسلمين إلى وليمة العرس فأجابوا.

وهكذا فى الزواج فى دار الهجرة وظلت أم حبيبة -رضي الله عنها- فى الحبشة حتى رحلت مع من بقى من المهاجرين بالحبشة إلى المدينة المنورة قبل فتح مكة وقبل صلح الحديبية.

فى بيت النبوة:

دخلت أم حبيبة -رضي الله عنها- المهاجرة الصابرة بيت النبوة، بعد عودتها من الحبشة عقب انتصار المسلمين فى غزوة خيبر وبعد دخول السيدة صفية بنت حييٍّ بيت النبوة أيضًا.

وأصبحت أم حبيبة -رضي الله عنها- إحدى فقيهات نساء المسلمين فى عصرها، وعاصرت صلح الحديبية وحين نقضت قريش صلح الحديبية بعد أداء النبى -ﷺ- والمسلمين عمرة القضاء باعتدائها على قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين، وقد وفد عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين من قومه إلى المدينة المنورة يستنصر رسول الله -ﷺ-، وأخبره بغدر قريش فقال له النبى -ﷺ-:

«نصرت يا عمرو بن سالم».

وعلمت قريش بأمر خزاعة وأنهم استنصروا بالنبى -ﷺ-، وخافت قريش من غزو النبى -ﷺ- لها وعودة الحرب مرة أخرى بينهما، فأرسلت زعيمها أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله -ﷺ- ليؤكد أمر الصلح والهدنة التى تمت فى الحديبية ويزيد مدتها أيضًا.

براءتها من أبيها حال شركه:

وقدم أبو سفيان بن حرب إلى المدينة المنورة، وذهب متوجهًا إلى ابنته أم المؤمنين حبيبة -رضي الله عنها- زوج رسول الله -ﷺ-، وحين أراد أن يجلس على فراش رسول الله -ﷺ- قامت أم حبيبة وطوت الفراش عنه فقال لها:

- يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى؟

قالت له: بل هو فراش رسول الله -ﷺ- وأنت مشرك نجس.

فقال لها: والله لقد أصابك بعدى شر.

قالت: هدانى الله للإسلام، وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك دخولى فى الإسلام، وأنت تعبد حجرًا لا يسمع ولا يبصر.

قال: يا عجباه! وهذا منك أيضًا! أأترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد(١).

(١) طبقات ابن سعد وابن كثير فى البداية والنهاية.

Scanned by CamScanner

ثم قام عنها حزينًا لما وجده من صراحة وقوة إيمان عندها.

وهكذا كانت أم حبيبة -رضي الله عنها- لا تخاف فى الله أحدًا حتى ولو كان أقرب الأقربين فالحق أحق بالاتباع.

وعاد أبو سفيان إلى مكة بعد أن وجد فى المدينة عزم المسلمين على عدم قبول غدر قومه لنقضهم العهد.

وأراد الله للمسلمين ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- الخير كله بفتح مكة دون حرب، فقد دخلها النبى -صلى الله عليه وسلم- فى جيش قوامه عشرة آلاف جندى مقاتل، ودخل أهل مكة فى الإسلام وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب وأصبح من كبار الصحابة -رضوان الله عليهم-.

وعاشت أم حبيبة -رضي الله عنها- بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فى عبادة الله تروى الأحاديث التى سمعتها منه، وكانت حياتها مثال الزهد والتقوى. والخوف من الله حتى أدركت خلافة أخيها معاوية للمسلمين.

وفاتها -رضي الله عنها-:

وتوفيت -رضي الله عنها- بالمدينة المنورة فى خلافة معاوية أخيها عام ٤٤هـ، وقبل وفاتها أرسلت إلى السيدة عائشة -رضي الله عنها- وقالت لها:

- قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك.

فقالت عائشة: غفر الله لك ذلك كله وتجاوزه وحللتك من ذلك كله.

فقالت: سررتنى سرك الله[١].

وأرسلت إلى أم سلمة -رضي الله عنها- وقالت لها مثل ذلك.

ودفنت بالبقيع -رضي الله عنها- وأرضاها-.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى.

٥

أم الحكم بنت أبى سفيان - رضى الله عنها -

● أسلمت يوم الفتح مع أبيها وأمها وأهل مكة وحسن إسلامها.

Scanned by CamScanner

[٥] أم الحكم بنت أبى سفيان - رضى الله عنها -

كما ذكرنا فى سيرة أم حبيبة بنت أبى سفيان -رضى الله عنها- أن الأب أبا سفيان صخر بن حرب لم يدخل الإسلام إلا يوم فتح مكة الأعظم، ولم يدخل الإسلام قبل الفتح من الأسرة السفيانية سوى أم حبيبة -رضى الله عنها-، وأم الحكم أخت أم المؤمنين أم حبيبة -رضى الله عنها- لأبيها، فأم الحكم ظلت على شركها رغم دخول زوجها الأول عياض بن غنم الفهدى وقد أسلم قبل صلح الحديبية وكان ذا شرف فى قومه وكرم فسمى زاد الراكب لكرمه مع رفقته فى السفر.

ونزل قول الله تعالى فى زوجات المسلمين اللاتى لم يدخلن فى الإسلام وظللن على كفرهن فى سورة الممتحنة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

وطلق عياض زوجته أم الحكم بنت أبى سفيان طاعة لأمر الله تعالى.

(١) سورة الممتحنة: ١٠.

وتذكر كتب السيرة أن هناك عددًا من الصحابة قد قاموا بتطليق زوجاتهم المشركات بعد نزول آية الممتحنة.. وهن أم الحكم بنت أبى سفيان وفاطمة بنت أبى أمية وعبدة بنت عبد العزى وأم كلثوم بنت جرول بن مالك الخزاعية وهند بنت أبى جهل وبروع بنت عقبة.

وبعد صلح الحديبية الذى عقده الرسول -ﷺ- مع قريش وقد اشترطت فيه رد من أسلم من قريش، ورفض النبى -ﷺ- تسليم النساء المؤمنات إلى الكفار، ونزل قوله تعالى فى سورة الممتحنة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

وبعد طلاق عياض لأم الحكم بنت أبى سفيان تزوجت بعده عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة الثقفى.. وأنجبت له ولده عبد الرحمن الذى كان يسمى عبد الرحمن بن أم الحكم.

إسلامها -رضي الله عنها-:

ويوم فتح مكة أسلم أبو سفيان وأسلم معه أهل مكة.. زوجته هند بنت عتبة ومعها ابنتها أم الحكم وحسن إسلامهم وصاروا ذخرًا للإسلام.

(١) سورة الممتحنة: ١٠.

وحين تولى أخوها معاوية بن أبى سفيان خلافة المسلمين ولى ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم مدينة الكوفة ثم عزله لسوء تصرفه.

وتروى كتب السيرة أن أم الحكم أرادت أن تزوج ابنها عبد الرحمن من إحدى بنات أخيها الخليفة معاوية بن أبى سفيان لكنه رفض لعدم الكفاءة ودار بينهما ذلك الحوار الذى رواه صاحب كتاب الأغانى «الأصفهانى»:

قالت أم الحكم لأخيها الخليفة معاوية:

- يا أخى زوج ابنى إحدى بناتك.

- قال معاوية: ليس لهن بكفء.

قالت له: زوجنى أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك وأنا خير من بناتك.

فقال معاوية: يا أُخية.. إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينها يشتهى الزبيب، وقد كثر الآن الزبيب عندنا.. فلن نزوج إلا كفئًا.

وكان يقصد معاوية السخرية لأن أهل عبد الرحمن بن أم الحكم من الطائف وهى بلاد العنب والزبيب.

وفاتها -رضي الله عنها-:

وعاشت أم الحكم فى بلاد الشام مجاورة لأخيها الخليفة حتى وفاته وتوفيت بعده بالشام -رضي الله عنها- وأرضاها-.

Scanned by CamScanner

٦

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب

- رضي الله عنهما -

الصوامة القوامة

حافظة القرآن الكريم

أخت رقية.. فاطمة.. زينب

- رضي الله عنهن -

Scanned by CamScanner

[٦] أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما -
«الصوامة القوامة»

أبوها الصحابى الجليل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وأخواتها من أبيها هى رقية وأمها: أم كلثوم بنت الإمام على بن أبى طالب، وفاطمة وأمها أم حكيم بنت الحارث وزينب وأمها فُكيهة وهى أم ولد.

أما السيدة حفصة فأمها زينب بنت مظعون.. فالبنات الأربع كلهن من أمهات شتى.

ولنبدأ بسيرة الأب لهؤلاء الكوكبة.. وباختصار شديد.. فكلنا يعرف من هو أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى -رضى الله عنه-.

كان طويلاً جسيمًا شديد الصَّلع، شديد الحمرة، فى عارضيه خفة، أسلم فى مكة فى السنة السادسة من النبوة، وكان من أشراف قريش، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة.

روى عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثًا، وروى عنه الصحابة(١).

---

(١) سير أعلام النبلاء وتاريخ الخلفاء.

وهو أحد العشرة المبشرين من رسول الله بالجنة.

دعا الرسول له قبل الإسلام بأن يهديه الله ويسلم فقال -ﷺ-: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام**»(١).

وفى رواية الحاكم عن ابن عباس أن النبى -ﷺ- قال: «**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة**»(٢).

وعن إسلامه يقول عمر -رضي الله عنه-: خرجت أتعرض رسول الله -ﷺ-، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت: والله ما هذا شاعر كما قالت قريش فقرأ: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ**﴾(٣).

فوقع فى قلبى الإسلام كل موقع(٤).

ثم أسلم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بعد أن علم بإسلام أخته وزوجها كما هو معلوم للجميع حين ضرب أخته فاطمة -رضي الله عنها- وكان عندهما الصحابى الجليل خباب، وقرأ آيات من سورة طه، وكان إسلام عمر -رضي الله عنه- فتحًا للمستضعفين من المسلمين فى مكة، وكانت هجرته نصرًا وإمامته رحمة -رضي الله عنه-.

(١) أخرجه الترمذى.
(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط والكبير.
(٣) سورة الحاقة: ٤١.
(٤) أخرجه أحمد فى مسنده.

قال صهيب الرومى أحد السابقين للإسلام بمكة: لما أسلم عمر -رضي الله عنه- أظهر الإسلام، ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقًا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتى به(١).

وحين أمر الرسول -ﷺ- الصحابة بالهجرة إلى المدينة المنورة هاجر إليها الصحابة سرًا إلا عمر بن الخطاب الذى هاجر علانية.. فقد تقلد سيفه، وحمل قوسه، وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها، فطاف سبعًا وصلى ركعتين عند المقام.. ثم قال للقوم من المشركين فقال: شاهت الوجوه، من أراد أن تثلكه أمه، ويُيَتّم ولده، وترمل زوجته، فليلقنى وراء هذا الوادى.

ولم يتبعه أحد منهم، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ- وتولى خلافة المسلمين بعد الخليفة الأول أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- فكانت خلافته رحمة للمسلمين(٢).

أما الابنة الكبرى حفصة فقد تزوجت قبل رسول الله -ﷺ- بالصحابى خُنيس بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى القرشى -رضي الله عنه- الذى أسلم بمكة قبل دخول الرسول -ﷺ- دار الأرقم بن أبى الأرقم على يد أبى بكر الصديق -رضي الله عنه-.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى.
(٢) من أراد المزيد من سيرة عمر بن الخطاب فليراجع كتابنا المهدى المنتظر آخر الخلفاء الراشدين مكتبة التوفيقية بالأزهر.

Scanned by CamScanner

وكان زواج حفصة -رضي الله عنها- بخنيس -رضي الله عنه- بعد إسلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

عاش الزوجان حياة سعيدة هانئة بمكة المكرمة فكلا الزوجين من السابقين للإسلام.

وهاجر الزوجان إلى المدينة المنورة، وعاشا حياة إسلامية هادئة مستقرة، وحفظت الزوجة القرآن الذى كان ينزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أولاً بأول.

وشهد الزوج غزوة بدر الكبرى، وقاتل فيها قتال الأبطال وأبلى بلاء حسنًا وأصابته سيوف المشركين فى أكثر من موضع فى جسده، وعاد مع الجيش المنتصر إلى المدينة المنورة مجروحًا ثم مات بعد أيام متأثرًا بجراحه. -رضي الله عنه-.

وحزنت حفصة -رضي الله عنها- لموت زوجها البطل الشهيد وصبرت واحتسبت، وعادت إلى بيت أبيها تواصل عبادتها وصلاتها.. وكان عمرها ثمانية عشر عامًا.

دخولها البيت النبوى:

بعد وفاة الزوج وانتقال الابنة الصابرة إلى بيت أبيها، حزن الأب لترمل ابنته الشابة، وفكر فى زواج ابنته بعد قضاء عدتها على زوجها الشهيد بأحد الصحابة الكبار.. فابنته صوَّامة، قوَّامة، عابدة، حافظة لكتاب الله، أضف إلى ذلك أنها شابة جميلة.. وليس عيبًا أن يعرض الرجل ابنته الصالحة على أحد الصالحين.

فذهب عمر -رضي الله عنه- إلى أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- يعرض عليه الزواج من ابنته حفصة وكله يقين أنه سوف يوافق على الزواج رغم فارق السن بينهما لكن أبا بكر صمت ولم يجب عمر.

وذهب عمر إلى عثمان بن عفان وكان قد ترمل أيضًا بعد وفاة زوجته رقية ابنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.. وعرض عليه الزواج من حفصة ابنته وقال له:

- إن شئت أنكحتك حفصة.

ونظر إليه عثمان فى رقة وقال: سأنظر فى أمرى.

وبعد أيام لقى عمر بن الخطاب عثمان وذَكَّره بعرضه السابق، فأجاب عثمان:

- بدا لى أن لا أتزوج فى يومى هذا.

وحزن عمر لرد الصديقين عليه ورفضهما عرضه بالزواج من ابنته رغم كل الصفات الحسنة بها، وذهب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يشكو إليه ما فعله الصاحبيان معه فقال له الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

- **«يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة»**(١).

وتعجب عمر من مقالة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟!

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه وابن سعد فى الطبقات.

فمن هو الذى خير من عثمان وأبى بكر؟ ومن هى التى أفضل من حفصة؟!

ولم يمض وقت طويل حتى حل اللغز.. فقد خطب رسول الله -ﷺ- حفصة ابنة عمر، وتزوج عثمان بن عفان من أم كلثوم بنت رسول الله -ﷺ-.

وفرح عمر لذلك الزواج المبارك.. وخرج يزف الخبر إلى المدينة المنورة.

وقابله أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- بعد إعلان نبأ الخطبة وهنأه على الزواج وقال له:

- لا تجد علىَّ يا عمر -أى لا تحزن منى- فإن رسول الله -ﷺ- ذكر حفصة أمامى، فلم أكن لأفشى سر رسول الله -ﷺ-، ولو تركها لتزوجتها.

وهنا أدرك عمر سر رفض أبى بكر الصديق الزواج من ابنته حين عرضها عليه.

وتم زواج حفصة -رضي الله عنها- من رسول الله -ﷺ- وأصبحت من أمهات المؤمنين.

ودخلت البيت النبوى وفيه سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبى بكر الصديق فكانت ثالثة ثلاثة -رضي الله عنهن-.

وعاشت حفصة -رضي الله عنها- فى بيت رسول الله -ﷺ- تنعم بالسعادة المطلقة، فهى زوجة خير البرية أمًّا للمؤمنين.

وذات يوم سمع عمر بن الخطاب أن ابنته حفصة تراجع رسول الله -ﷺ- فذهب إليها يسألها:

- يا بنية، هل صحيح أنك تراجعين رسول الله -ﷺ- حتى يظل يومه غضبان.

فقالت له: نعم يا أبت والله إنا لنراجعه.

قال عمر: تعلمين أنى أحذرك عقوبة غضب الله وغضب رسوله، يا بنية لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله إياها، والله لقد علمت أن رسول الله -ﷺ- لا يحبك ولولا أنا لطلقك.

وتمر الأيام والسنون وحفصة فى بيت النبوة، وتبدى رأيها وتراجع رسول الله -ﷺ-، فقد سمعته يومًا يقول: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد.. الذين بايعوا تحتها**».

قالت حفصة -رضي الله عنها-:

- بلى يا رسول الله.

فانتهرها النبى -ﷺ-، فتلت الآية: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا**﴾(١).

---

(١) سورة مريم: ٧١، والحديث رواه مسلم.

Scanned by CamScanner

فقال النبى -ﷺ- قد قال الله عز وجل:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(١).

وكانت حفصة كأى زوجة تغار على زوجها ولكنها تدارى تلك الغيرة، وذات يوم اتفقت هى والسيدة عائشة -رضي الله عنها- على السيدة زينب بنت جحش زوجة النبى -ﷺ- الجديدة، وكان يجلس عندها بعد زواجه بها ويشرب عندها العسل الذى يحبه، واتفقت كل من حفصة وعائشة أن تقول كل منهن له حين يدخل عليها وهو قادم من عند زينب بنت جحش: إنى أجد ريح مغافير -أى أشم رائحة كريهة- حتى أن الرسول -ﷺ- حرم على نفسه شرب العسل فعاتبه الله فى ذلك(٢) وأنزل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ

(١) سورة مريم: ٧٢، والحديث رواه مسلم.

(٢) ذكر البخارى فى صحيحه أن سبب التحريم هو شرب العسل وذهب غيره أن الرسول -ﷺ- أصاب مارية القبطية وهى جارية له فى بيت حفصة فغارت لذلك فحاول إرضاءها بأن حلف لها إلا يطأها -أى مارية- أبدًا وقال لها لا تذكر ذلك لأحد فذكرته لعائشة، ذكر ذلك ابن كثير فى التفسير.

اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾(١).

وتحكى كتب التفاسير والسيرة أن نساء النبى -ﷺ- تظاهرن عليه، فاعتكف فى مسجده شهرًا، وهجرهن جميعًا، وذلك يسمى بإيلاء.. وأشيع فى المدينة أن الرسول -ﷺ- قد طلق نساءه، حتى فزع لذلك عمر بن الخطاب وذهب مسرعًا إلى رسول الله -ﷺ-. واستأذن فى الدخول على رسول الله -ﷺ- ثلاث مرات ولا يأذن له، حتى أذن له فى نهاية الأمر ودخل عليه وسأله عمر:

- أطلقت نساءك؟

فرفع النبى -ﷺ- رأسه وكان متكئًا وقال: «لا».

فصاح عمر: الله أكبر.

وخرج عمر من عند رسول الله -ﷺ- ليعلن للناس أن الرسول -ﷺ- لم يطلق نساءه وإنما هجرهن شهرًا.

ثم نزلت الآيات من سورة التحريم تخير زوجات الرسول -ﷺ- بالتسريح ومتاع الدنيا أو بالبقاء أمهات للمؤمنين زوجات للرسول -ﷺ- فى الدنيا والآخرة.. فاخترن الله ورسوله -ﷺ-.

وجاء فى كتب السيرة أيضًا أن الرسول -ﷺ- قد طلق حفصة

(١) سورة التحريم: ١-٥.

Scanned by CamScanner

وراجعها بعد أن جاءه جبريل -عليه السلام- فقال له: **«إنها صوَّامة قوَّامة وهى زوجتك فى الجنة»**(١).

وبعد وفاة الرسول -ﷺ- عاشت حفصة -رضي الله عنها- تواصل عبادتها لله وتروى ما حفظته من أحاديث رسول الله -ﷺ-، تكثر من التصدق من مالها فى سبيل الله وعاصرت خلافة أبيها عمر بن الخطاب للمسلمين، وكثرت الفتوحات فى عهده، وكثر المال أيضًا وهو ما زال يلبس الخشن من الثياب مما دعاها أن تقول له يومًا:

- يا أبت. إلبس لين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق، ومُرْ بصنعة طعام وتطعم من حضر.

فقال لها أبوها عمر -رضي الله عنه-:

- ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته.

قالت: نعم.

قال عمر: ناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله -ﷺ- لبث فى النبوة كذا وكذا سنة، لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية، ولا يشبعوا عشية إلا جاعوا غدوة؟

قالت: نعم.

قال عمر لها:

- وناشدتك الله هل تعلمين أن النبى -ﷺ- لبث فى النبوة كذا

(١) رواه أبو داود.

وكذا سنة، لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر؟ وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله -ﷺ- قربتم إليه طعامًا على مائدة فيها ارتفاع. فشق ذلك عليه، حتى تغير لونه، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض؟

فأجابت بالإيجاب.

قال عمر لها:

ناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله -ﷺ- كان ينام على عباءة مثنية، فثنيت له ليلة أربع طاقات، فنام عليها، فلما استيقظ قال: منعتمونى قيام الليل فهذه العباءة، أثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها.

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله -ﷺ- كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال، فيؤذن بالصلاة فما يجد ثوبًا يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه، فيخرج بها إلى الصلاة.

قالت حفصة: أعلم ذلك يا أبت.

فقال عمر:

- ناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله -ﷺ- له امرأة من بنى ظفر من الأنصار كساءين إزار ورداء، وبعثت إليه بإحداهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به لبس عليه غيره، قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك.

فقالت: نعم.. وبكت بكاء مريرًا وبكى معها عمر -﵄-.

ثم يعلن لها فى ثبات وإيمان: كان لى صاحبان، سلكا طريقًا فإن سلكت غير طريقهما، سُلِك بى طريق غير طريقهما وأنى سأصبر على عيشهما الشديد، لعلى أدرك معهما عيشهما الرغيد -أى فى الجنة-.

وذات يومًا قدمت حفصة إلى أبيها عمر -﵁- وهو أمير المؤمنين طعامًا. عبارة عن مرقًا باردًا وخبزًا ووضعت على المرق زيتًا فقال لها عمر:

- أدمان فى إناء واحد، لا أذوقه حتى ألقى الله عز وجل.

هكذا كان عمر بن الخطاب -﵁- يربى الأمة ويربى نفسه وبناته، وهكذا سلكت حفصة طريق أبيها وزوجها -ﷺ-.

وحين طعن عمر بن الخطاب دخلت عليه حفصة وهى تقول: يا صاحب رسول الله -ﷺ- ويا أمير المؤمنين.

فقال عمر لابنه: أجلسنى فلا صبر لى على ما أسمع.

وقال لها: إنى أخرج لما لى عليك من الحق أن تنسينى بعدها. فأما عينيك فلا أملكهما أنه ليس من ميت يندب بما ليس فيه إلا مقته الملائكة.

وقال لها أيضًا: إن المعول عليه يعذب.

وعاشت حفصة -﵂- بعد وفاة زوجها وأبيها وقد حفظت

لديها نسخة القرآن التى جمعت منذ عهد الخليفة أبى بكر الصديق وظلت لديها حارسة لها حتى طلبها منها الخليفة الثالث عثمان بن عفان حين جمع القرآن فى مصحف واحد ليوزع منه نسخ على الأمصار، وظلت عندها النسخة الأولى بعد المراجعة عليها فى عهد عثمان -﵁-، ومرضت حفصة -﵂- مرض الموت وقد بلغت الستين من عمرها فى العام الخامس والأربعين من الهجرة وتوفيت بالمدينة المنورة ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين -﵅ أجمعين-.

Scanned by CamScanner

[٧] أمامة بنت أبى العاص - رضي الله عنها -

«كان يحملها النبى - ﷺ - وهو يصلى»

أمها: هى السيدة زينب بنت الرسول -ﷺ-.

وأبوها: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى وهو ابن أخت السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-.

ولدت أمامة بمكة قبل الهجرة فى حياة جدتها السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-.

عاشت أمامة مع أمها وأبيها حياة هانئة مستقرة وحين نزلت الرسالة على جدها -ﷺ- أسلمت أمها زينب ولم يسلم أبوها وظل على شركه حتى بعد الهجرة النبوية، بل وشارك فى غزوة بدر مع جيش قريش وحين انتصر المسلمون وأسر أبو العاص فيمن أسر، وأرسلت زوجته زينب بنت محمد -ﷺ- وكان الفداء قلادة أمها ولكن الرسول -ﷺ- ردها إليها وأرسله إلى قومه واشترط عليه أن يرسل زوجته زينب -رضي الله عنها- لأنها أصبحت لا تحل له طالما هو على دين قومه من الشرك بالله.

وعاد أبو العاص إلى مكة وأرسل زوجته زينب وابنته أمامة إلى أبيها رسول الله -ﷺ- بالمدينة المنورة.

وعاشت أمامة بالمدينة المنورة تحت رعاية جدها رسول الله -ﷺ-.

فقد كانت أمامة أولى حفيدات الرسول -ﷺ- وكان يحبها ويُسَرّ بها ويظهر ذلك دائمًا لمن حوله، فكان يحملها على عاتقه وهو فى الصلاة يضعها حين يركع ويعيدها إلى عاتقه إذا قام حتى تقضى الصلاة.

فقد كان -ﷺ- يظهر حبه لأمامة على غير عادة العرب الذين لا يألفون حب البنات فكان يخالفهم حتى فى الصلاة للمبالغة وردعهم. ولا ريب فى ذلك فهو الرحمة المهداة..

وفى العام السابع الهجرى أسلم الأب أبو العاص وكان قد خرج فى تجارة لقريش إلى الشام، فلما رجع لقيته سرية للمسلمين، فأصابوا ما معه وأعجزهم هربًا، فقدموا بما أصابوا، وأقبل هو فى الليل إلى المدينة المنورة، وذهب من فوره إلى بيت زينب زوجته فاستجار بها، فأجارته.

فلما كان النبى -ﷺ- والناس فى صلاة الصبح، صرخت زينب -رضي الله عنها- من صُنعة النساء:

أيها الناس، قد أجرتُ أبا العاص بن الربيع وبعث النبى -ﷺ- إلى السرية الذين أصابوا ماله. فقال:

«إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوه، فإنا نحب ذلك وإن أبيتم، فهو فىء الله، فأنتم أحق به».

Scanned by CamScanner

قالوا: بل نرده.

فردوا ماله كله، ثم ذهب إلى مكة، فأدى إلى كل ذى مال ماله ثم قال:

- فإن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا خوف أن تظنوا أنى إنما أردت أكل أموالكم.

ثم هاجر إلى المدينة المنورة وقدم على رسول الله -ﷺ-، فرد عليه زوجته زينب على النكاح الأول(١).

وعاشت الأسرة مكتملة الشمل فى سعادة بالغة فى ظل الإسلام والمجتمع الجديد.

ولكن السعادة لم تطل طويلاً فقد وافت المنية الزوجة زينب الكبرى -رضي الله عنها- فى العام الثامن الهجرى.

وعاشت أمامة فى ظل أبيها وجدها وظل الرسول -ﷺ- يبرها ويشملها برعايته وحنانه وحبه البالغ فهى تذكره بأمها الراحلة.

وتروى السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن حب رسول الله -ﷺ- لأمامة فتقول: أهدى لرسول الله -ﷺ- قلادة من جذع ملمعة بالذهب، ونساؤه مجتمعات فى بيتى كلهن، وأمامة بنت زينب بنت رسول الله -ﷺ- وهى بنت أبى العاص بن الربيع جارية تلعب فى

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى.

جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله -ﷺ-: «**كيف ترين هذه؟**» فنظرنا إليها فقلنا: يا رسول الله -ﷺ- ما رأينا أحسن من هذه قط ولا عجب.

فقال: «**اردنها إلىّ**».

فلما أخذها قال: والله لأضعنها فى رقبة أحب أهل البيت إلىّ.

قالت عائشة -رضي الله عنها-: فأظلمت علىّ الأرض بينى وبينه خشية أن يضعها فى رقبة غيرى منهن، ولا أراهن إلا قد أصابهن مثل الذى أصابنى، ووجمن جميعًا، فأقبل بها حتى وضعها فى رقبة أمامة بنت أبى العاص فسُرِّى عنا(١).

وأهدى إليه -ﷺ- من ملك الحبشة حلية فيها خاتم من ذهب فأخذه وأرسل به إلى أمامة بنت زينب ابنته فقال: «**تحلى بهذا يا بنية**».

وتوفى رسول الله -ﷺ- فى العام العاشر الهجرى وحزنت أمامة على جدها حزنًا شديدًا، ولم يبق إلا أبوها أبو العاص الذى لم يطل به العمر حتى توفى فى السنة الثانية عشرة من الهجرة.

وكانت خالتها السيد فاطمة -رضي الله عنها- قد أوصت زوجها على بن أبى طالب أن يتزوج أمامة بعد وفاتها، وقد توفيت السيدة فاطمة -رضي الله عنها- بعد وفاة رسول الله -ﷺ- بأشهر قليلة فكانت أول أهله لحوقًا به.

(١) رواه الطبرانى وأحمد فى مسنده وذكره ابن سعد فى الطبقات.

Scanned by CamScanner

وبعد وفاة أبيها أبى العاص عام ١٢هـ لحقت ببيت ابن خال أبيها الزبير بن العوام بناء على وصية أبيها.

وفى خلافة عمر بن الخطاب تزوج على بن أبى طالب -رضي الله عنه- بأمامة بنت أبى العاص -رضي الله عنه- كما أوصته زوجته الراحلة فاطمة الزهراء -رضي الله عنها-.

وانتقلت أمامة -رضي الله عنها- مع زوجها على بن أبى طالب إلى الكوفة حين آلت إليه الخلافة، وعاشت معه قرابة خمسة وعشرين عامًا.

وعاصرت -رضي الله عنها- أحداث الفتنة بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وغير ذلك، من أحداث جسام حتى لقى على ابن أبى طالب مصرعه على أيدى الخوارج عام ٤٠هـ.

وقبل وفاة زوجها على بن أبى طالب -رضي الله عنه- أوصاها وهو على فراش الموت قائلاً:

- إن كان لك من الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرًا، وأوصاها ألا تخرج من رأى المغيرة بن نوفل.

وكان المغيرة بن نوفل بن الحارث هاشمى ولد على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل الهجرة أو بعدها بقليل، وولى القضاء فى خلافة عثمان بن عفان وشهد موقعة صفين مع على بن أبى طالب. وهو الذى قبض على قاتل الإمام على بن أبى طالب من الخوارج عبدالرحمن بن ملجم وأخذ منه السيف.

وبعد وفاة الإمام على بن أبى طالب -رضي الله عنه- وانقضاء عدتها، خطبها معاوية بن أبى سفيان وبذل لها مالاً كبيرًا، ولكنها نفذت وصية زوجها وجاءت إلى المغيرة بن نوفل تستأمره فقال لها: أنا خير لك منه فأجعل أمرك إلىّ ففعلت.

ودعا المغيرة بن نوفل بنى هاشم وفيهم الحسن بن على -رضي الله عنهما- وأشهدهم على زواجه منها وتزوجها وأقامت معه زمنًا حتى توفيت فى عهد معاوية بن أبى سفيان.. ولم تلد لعلى بن أبى طالب أو المغيرة وبقيت الذرية فى نفس السيدة فاطمة الزهراء بنت محمد -صلى الله عليه وسلم-. -رضي الله عنها-.

بنات على بن أبى طالب - رضي الله عنه -

[٨] زينب بنت على - رضي الله عنها -

[٩] أم كلثوم بنت على - رضي الله عنها -

حفيدات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وبنات سيدة نساء العالمين

فاطمة الزهراء - رضي الله عنها -

Scanned by CamScanner

البيت العلوى الفاطمى

وقبل التعرف على سيدة بنات الإمام على -كرم الله وجهه- من زوجته السيدة فاطمة الزهراء بنت محمد -ﷺ-، نطوف سويًّا فى البيت الذى تربى فيه هذا النشء المبارك.

فالبيت بالمدينة المنورة.. متواضع البناء.. متواضع الأثاث بل بمقايس عصرنا هذا لا أثاث فيه!!

عاش الزوجان حياة هانئة مستقرة يملؤها الحب والسعادة الزوجية الحقيقية والإيمان العامر به القلوب المطمئنة لذكر الله.

فقد كان زواجهما بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة. فحين ذهب على بن أبى طالب إلى ابن عمه رسول الله -ﷺ- يخطب منه ابنته فاطمة الزهراء وهو فقير لا مال له، ولكن مؤمن بالله قوى الإيمان مجاهد فى سبيل الله منذ نعومة أظافره فهو الفدائى الأول فى الإسلام فقد بات فى فراش رسول الله -ﷺ- ليلة الهجرة وهو يعلم أن الكفار على باب رسول الله -ﷺ- يريدون قتله، ولكنه ضحى بنفسه فداء للرسول -ﷺ-، وجاهد مع الرسول -ﷺ- بعد الهجرة حيث لحق به، وهو ابن عمه أبى طالب وتربى فى بيت النبوة منذ صغره.. ذهب على -رضي الله عنه- إلى رسول الله -ﷺ- على استحياء وسأل الرسول -ﷺ-:

تزوجنى فاطمة؟

فابتسم -ﷺ- وقال له:

«هل عندك شىء؟».

قال على -كرم الله وجهه-:

- لا يا رسول الله.

فقال له -ﷺ-:

«فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا؟».

فقال: هى عندى يا رسول الله.

قال -ﷺ-: **«فأعطها إياها»**.

وانطلق على -كرم الله وجهه- مسرعًا وجاء بالدرع، فأمره -ﷺ- ببيعها ليجهز بثمنها العروس.

واشترى الدرع عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بأربعمائة وسبعين درهمًا..

وتم شراء ما يلزم للعروس.. فكان أثاث البيت سريرًا ووسادة من أدم حشوها ليف، وإناء يغسل فيه، وسقاء للماء، ومنخلاً، ومنشفة وقدحًا ورحى للطحن، وجرتين للماء.. هكذا كان أثاث البيت كما تروى كتب السيرة.

وتم الزوج المبارك ودعا لهما النبى -ﷺ- قائلاً: **«اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك فى نسلهما»**[1].

---

(١) طبقات ابن سعد، والإصابة لابن حجر.

وعاشت السيدة فاطمة -رضي الله عنها- بالبيت مع أم الإمام على -كرم الله وجهه-، وقد قسم بينهما العمل المنزلى، فقال على -رضي الله عنه- لأمه فاطمة بنت أسد -رضي الله عنها-:

- اكفى فاطمة بنت رسول الله -ﷺ- سقاية الماء، والذهاب فى الحاجة، وتكفيك هى الطحن والعجن[1].

هكذا عاشت سيدة نساء أهل الجنة، أفضل نساء العالمين وأكملهن، فقد جاء فى الحديث الصحيح لم يكمل من النساء إلا أربعة وذكر منهن فاطمة -رضي الله عنها-.. ولم تتأفف من حياتها تلك ولم تشتكى كما تفعل النساء فى كل العصور.

وحين رأى على بن أبى طالب زوجته فاطمة وقد أثر الطحن فى يدها وأضنى جسدها، وهو لا يملك القدرة على شراء خادمة تساعدها، أشار عليها أن تذهب إلى أبيها -ﷺ- وقد جاءه بعض السبايا من الغزو إلى المدينة أن تسأله خادمًا منهم يساعدها.

وذهبت الابنة إلى أبيها -ﷺ-.. ودخلت عليه على استحياء فسألها:

- **«ما جاء بك يا بنية؟»**

---

(١) طبقات ابن سعد، والإصابة لابن حجر، وكانت السيدة فاطمة بنت أسد -رضي الله عنها- سابقة للإسلام فى مكة رغم عدم إسلام زوجها أبى طالب وقامت برعاية الرسول -ﷺ- وهو صغير حين كفله عمه أبو طالب. وكانت مكانتها عند الرسول -ﷺ- عظيمة وكان يساويها بابنته فاطمة الزهراء ويخصها بالهدايا.

Scanned by CamScanner

قالت: جئت أسلم عليك يا رسول الله.

واستحيت سؤاله وعادت إلى منزلها.

ولكن على بن أبى طالب استحثها وشجعها وذهب معها وسألا النبى -ﷺ- أن يعطيهما خادمًا من السبايا، فرد عليهم رسول الله -ﷺ-:

- «**لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة** -وهم فقراء الصحابة- **تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكنى أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**».

ورجعا إلى بيتهما ولم يتحقق لهما ما أراداه، ولم يلبثا قليلاً حتى جارهما النبى -ﷺ- وقد دخلا فراشهما وغطيا أقدامهما، فقال لهما:

- «**مكانكما**».. ثم اقترب منهما وقال:

«**ألا أخبركما بخير مما سألتمانى**».

فأجابا: بلى يا رسول الله.

قال: «**كلمات علمنيهن جبريل، تسبحان فى دبر كل صلاة عشرًا وتحمدان عشرًا وتكبران عشرًا، وإذا أوتيما إلى فراشكما تسبحان ثلاثًا، وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين، وتكبران ثلاثًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم**»(١).

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد.

ثم دعهما وانصرف بعد أن ترك لهما وعن خلفهما من المسلمين إلى يوم القيامة ما هو خير من الخادم والخادمة.. ذكر الله.

وبعد عام من الزواج جاء الحفيد الأول لرسول الله -ﷺ- من فاطمة الزهراء -﵂-.. وسماه الحسن وأذن رسول الله -ﷺ- فى أذنه وحنكه بتمرة وحلق شعره فى اليوم السابع وتصدق بوزنه فضة.

وبعد عام آخر جاء الحفيد الثانى.. الحسين -﵁-.. ثم رزقهما الله بالابنة زينب سماها رسول الله -ﷺ- على اسم ابنته الراحلة، وكذلك الابنة الحفيدة الثانية أم كلثوم -رضي الله عنهن أجمعين-.

وبلغ من حب رسول الله -ﷺ- لفاطمة الزهراء أن قال وهو يخطب الناس: «**إن فاطمة بضع منى فمن أغضبها فقد أغضبنى**».

وقال أيضًا: «**إن فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما أذاها**»(١).

وحين سُئل -ﷺ-: من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال -ﷺ-: «**علىٌّ وفاطمة وأبناؤهما**».

وتوفيت -﵂- بعد وفاة رسول الله -ﷺ- بنحو ستة أشهر سنة إحدى عشرة من الهجرة، وكانت أول أهل بيته لحوقًا به(٢).

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) لمن أراد المزيد من سيرة السيدة فاطمة الزهراء -﵂- فليقرأ كتابنا «نساء أهل البيت». الناشر: دار التوفيقية بالأزهر.

Scanned by CamScanner

الأب القدوة:

وكان الأب على بن أبى طالب -رضي الله عنه- القدوة والمثل الأعلى لأولاده قبل عامة المسلمين وخاصتهم فى الزهد والعلم والعبادة والجهاد فى سبيل الله.

وكان غلامًا فى حجر رسول الله -ﷺ- بمكة أخذه من أبيه أبى طالب حين أصاب عمه الحاجة وكثرة الأولاد، وحين بعث رسول الله -ﷺ- كان أول الغلمان إسلامًا فقد كان عمره لا يتجاوز التاسعة أو العاشرة وقيل دون ذلك، ولم يعبد الأوثان قط.

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ- وأعطاه الراية يوم خيبر وأخبر أن الفتح سيكون على يديه، وقد كان ذلك.

روى عن رسول الله -ﷺ- قرابة الخمسمائة حديث وستة وثمانين. وروى عنه أولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والكثير من الصحابة -رضوان الله عليهم-.

ومن فضائله أن رسول الله -ﷺ- قال له حين خلفه على المدينة فى غزوة تبوك: «**أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبى بعدى؟**»(١).

وقال أيضًا: «**إن الله أمرنى بحب أربعة، وأخبرنى أنه يحبهم**». قيل: يا رسول الله سمِّهمْ لنا؟!.

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد.

قال: «**علىٌّ منهم -قالها ثلاثًا- وأبو ذر والمقداد وسلمان**»(١).

وقال أيضًا: «**على منى وأنا من على**»(٢).

والأحاديث فى فضل على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- كثيرة نكتفى منها بهذا القدر البسيط.

وعاش -رضي الله عنه- بعد وفاة رسول الله -ﷺ- وزوجته فاطمة الزهراء -رضي الله عنها-، يؤازر الخلفاء أبا بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم-، ويجاهد فى سبيل الله حتى وقعت الفتنة وقتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، واختار الصحابة والمسلمون على بن أبى طالب -رضي الله عنه- أميرًا للمؤمنين، ثم نازعه الأمر معاوية بن أبى سفيان ومعه أهل الشام ودارت الحروب بينهما والتى انتهت بالهدنة والتحكيم، ورأى الخوارج وكانوا يحاربون مع جيش على بن أبى طالب ضد معاوية ثم خرجوا عليه وقاتلهم علىّ وانتصر عليهم، رأوا قتل كل من معاوية وعلى وعمرو بن العاص -وبالفعل تم تنفيذ الخطة ولكن لم يقتل إلا على ابن أبى طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة-. ونجا كل من معاوية وعمرو بن العاص.

وكان عمره حين قُتل ثمانية وخمسين عامًا وقيل خمسة وستين عامًا.

تلك نبذة مختصرة عن حياة وسيرة الأب رب الأسرة العلوية وزوجته.. فماذا عن الابنتين زينب الصغرى، وأم كلثوم -رضي الله عنهما-؟.

(١) أخرجه الترمذى والحاكم وصححه عن بريدة.
(٢) أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه.

Scanned by CamScanner

[٨] زينب بنت على بن أبى طالب -رضي الله عنها-

ومعًا عزيزى القارئ.. نقرأ بطاقة السيدة الفاضلة زينب بنت الإمام على -كرم الله وجهه-..

فالأب: على بن أبى طالب -رضي الله عنه-.

والأم: فاطمة بنت محمد -صلى الله عليه وسلم-.

الجد: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

الجدة لأم: خديجة بنت خويلد أم المؤمنين -رضي الله عنها-.

الجدة لأب: فاطمة بنت أسد الصحابية -رضي الله عنها-.

الأخوة: الحسن والحسين سبطا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

العم: جعفر بن أبى طالب -رضي الله عنه-.

خالتها: أم كلثوم وزينب ورقية بنات الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

مولدها -رضي الله عنها-:

الميلاد: بالمدينة المنورة فى العام الخامس الهجرى، سماها الجد -صلى الله عليه وسلم- تيمنًا لاسم ابنته الراحلة زينب الكبرى، فكانت حبيبة إلى قلب جدها -صلى الله عليه وسلم- مثل أمها فاطمة الزهراء -رضي الله عنها-.

عاشت -رضي الله عنها- فى بيت أبيها تحيطها الرعاية والحنان وتنهل من نبع الإيمان الصافى.

وبعد وفاة جدها -صلى الله عليه وسلم- ثم أمها -رضي الله عنها- وكان عمرها خمس سنوات عاشت مع أختها الصغرى أم كلثوم فى رعاية أبيها على بن أبى طالب -رضي الله عنه-.

زواجها -رضي الله عنها-:

ومرت الأعوام سريعًا.. وكبرت زينب الصغرى وتقدم لخطبتها أفاضل القوم وأشرفهم حسبًا ونسبًا ودينًا ومالاً، لكن الأب رأى أن أفضل من تقدم لها هو ابن أخيها وابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبى طالب -رضي الله عنه-.

إنه ابن الشهيد جعفر بن أبى طالب الملقب بجعفر الطيار شهيد معركة مؤتة الذى دافع عن راية المسلمين وهو قائد الجيش حتى قطعت يداه ونال الشهادة فى سبيل الله، فأبدله الله بجناحين من ذهب يطير بهما فى الجنة.. كما أخبر بذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

نعم.. تزوجت زينب الصغرى بنت علي -رضي الله عنهما- بابن العم.. ابن شهيد مؤتة.. الجواد ابن الجواد.. العالم الفقيه.. عبد الله بن جعفر -رضي الله عنه-.

وكان عبد الله بن جعفر أصغر الصحابة سنًا وهو أحد من رأى النبى -صلى الله عليه وسلم- من بنى هاشم، كفله الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد استشهاد أبيه، فنشأ فى حجر النبى -صلى الله عليه وسلم- وتحت رعايته ونهل بنصيب وافر من معين النبوة.

قال -صلى الله عليه وسلم- عن عبد الله بن جعفر: **«وأما عبد الله فشبه خلقى وخلقى»**.

Scanned by CamScanner

فكانت شهادة رسول الله -ﷺ- أعظم فشهادة له ووسام على صدره إلى يوم الدين.

وكان -ﷺ- إذا قدم إلى المدينة من سفر يستقبله الغلمان من أهل البيت الهاشمى فيقول عبد الله بن جعفر -رضي الله عنه-: كان رسول الله -ﷺ- إذا قدم من سفر، تُلُقى بالصبيان من أهل بيته، وإنه جىء بأحد ابنى فاطمة، فأردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة(١).

وكان عبد الله بن جعفر قد أصابته دعوة رسول الله -ﷺ- بالبركة فى التجارة، فقال له حين رآه يلعب بالتراب وهو غلام صغير: «**اللهم بارك له فى تجارته**»(٢).. فكان ذا مالٍ وفير وتجارة رابحة واشتهر بالكرم والجود والنفقة فى سبيل الله.

ونال عبد الله الحفاوة والتكريم من كبار الصحابة أيضًا فكان عبد الله بن عمر بن الخطاب إذا لقيه سلم عليه قائلاً: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين(٣).

ومن أخبار كرم عبد الله بن جعفر -رضي الله عنهما- أن امرأة جاءت إليه بدجاجة فقالت له: بأبى أنت! هذه الدجاجة كانت مثل بنيتى، آكل من بيضها وتؤنسنى فأليت أن لا أدفنها إلا فى أكرم موضع أقدر عليه، ولا والله ما فى الأرض أكرم من بطنك.

---

(١) أخرجه مسلم، باب: فضائل عبد الله بن جعفر.
(٢) رواه أبو يعلى والطبرانى ورجالهما ثقات «مجمع الزوائد» للهيثمى.
(٣) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر.

فقال عبد الله بن جعفر -رضي الله عنهما-: إذن خذوها.

من هذه التى قصدتنا، واحملوا إليها من الحنطة كذا، ومن التمر كذا، واعطوها من الدراهم كذا.

وزاد لها من العطاء حتى تعجبت المرأة وهتفت قائلة: بأبى أنت «إن الله لا يحب المسرفين»(١).

وكان بيت عبد الله بن جعفر -رضي الله عنهما- يقصده الناس لأخذ العطاء فما رد سائلاً أبدًا، ويروى أن أعرابيًّا قصد أمير المدينة مروان بن الحكم فى عهد معاوية وطلب منه عطاءً فاعتذر له أمير المدينة وقال له: يا أخا العرب ليس عندنا شىء الآن ولكنى أرشدك إلى ابن ذى الجناحين عبد الله بن جعفر فهو كهف الفضائل والجود.

فانطلق الأعرابى إلى عبد الله بن جعفر -رضي الله عنهما- وهو ينشد قائلاً:

أبو جعفر من أهل بيت نبوة صلاتهم للمسلمين طهور فرحب به عبد الله، وسأله الأعرابى حاجته فأعطاه ما يريد وأزيد حتى ثقلت البعير بحملها وفوق ذلك أعطاه سيف ثمين.

وعاشت زينب فى بيت زوجها عونًا له على الكرم.. وأنجبت له على وعون، وعباس ومحمد وأم كلثوم.

وتربى الأولاد فى ذلك البيت على العلم والإيمان والكرم فكانوا من العلماء فى عصرهم.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق.

Scanned by CamScanner

حياتها فى خلافة أبيها:

تولى على بن أبى طالب -رضي الله عنه- الخلافة فى العام الخامس والثلاثين من الهجرة، بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، وزينب وقتها قد بلغت من العمر الثلاثين عامًا وعاصرت خلافة أبيها على بن أبى طالب للمسلمين من أولها إلى آخرها بأحداثها الجسام.

وانتقل على بن أبى طالب -رضي الله عنه- إلى الكوفة حيث جعلها مقرًا للخلافة بدلاً من المدينة المنورة التى شهدت أحداث الفتنة التى أدت إلى مقتل الصحابى الجليل الخليفة الثالث عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

وعاشت السيدة زينب -رضي الله عنها- وزوجها مع أبيها -رضي الله عنه- بالكوفة حيث مقر الخلافة، وشهدت وزوجها المعارك التى خاضها على ابن أبى طالب -رضي الله عنه- ضد أعدائه من الخوارج الذين خرجوا عليه بعد أن قاتلوا معه ضد معاوية بن أبى سفيان وأهل الشام الذى نازع على بن أبى طالب على الخلافة، واشترك عبد الله بن جعفر مع على ابن أبى طالب فى معركة صفين ضد أهل الشام ومعاوية، والتى انتهت بالنصر لعلى بن أبى طالب وجيشه ثم رفع أهل الشام بمشورة عمرو بن العاص المصاحف على أسنة الرماح طالبين للصلح والتحكيم.

وأوقف على بن أبى طالب -رضي الله عنه- القتال للتشاور والنزول على

حكم الله، وحينها تخرج عليه بعض أتباعه وسموا بالخوارج، ولكن الخوارج لم يهدأ لهم بال فقد اتفقوا على قتل الإمام على ومعاوية وعمرو بن العاص فى يوم واحد، ولكن الخطة لم تنجح فى قتل معاوية وأصابه القاتل إصابة غير قاتلة ونجا، وقتل نائب عمرو بن العاص فى مصر لأنه لم يخرج للصلاة لمرض وأرسل نائبه ونجا.. وكان القاتل الذى ذهب لقتل الإمام على بن أبى طالب وهو عبد الرحمن بن ملجم نجح فى طعن على طعنة بالغة شجت رأسه وتوفى بعدها بيومين فى شهر رمضان عام ٤٠هـ.

وحزنت زينب على أبيها الإمام الخليفة حزنًا شديدًا، وعاشت مع آل البيت بالمدينة ومعها زوجها وأخوها الحسين -رضي الله عنهم- أجمعين- حتى كان العام ٦١هـ.

زينب وأحداث كربلاء:

تجاوز عمرها الخامسة والخمسين واستقر بها الحال والعيش فى مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهى على زهدها وورعها وكرمها تحيا حياة هانئة بعد أحداث الفتنة التى مر عليها أكثر من عشرين عامًا.

وبعد وفاة معاوية بن أبى سفيان -رضي الله عنه- وتولى الخلافة من بعده ابنه يزيد بن معاوية الذى لم يبايعه البعض ومنهم أهل العراق.. حيث أرسلوا إلى حفيد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «الحسين» أخو السيدة زينب بنت على بالبيعة والخلافة بدلاً من ابن معاوية يزيد.

Scanned by CamScanner

وذهبوا إليه بالمدينة وطلبوا منه الحضور إليهم بالكوفة لتولى أمر الخلافة.. ولكنهم خذلوه حين حضر إليهم، وتفرقوا عنه كعادتهم وكما صنعوا أيضًا مع أبيه على بن أبى طالب وأيضًا أخيه الحسن بن على -رضي الله عنه-.

وحدثت واقعة كربلاء الشهيرة والتى قُتل فيها الحسين -رضي الله عنه- سيد شهداء أهل الجنة، ومن معه من أتباعه الذين ناصروه وكذلك قتل معه نحو سبعة عشر رجلاً من أهل البيت النبوى من أولاد فاطمة وعلى -رضي الله عنهم- أجمعين.

ولم يبق من أهل البيت يومها حيًّا كما ذكر صاحب «سير أعلام النبلاء، الذهبى» إلا ابن الحسين الأصغر على زين العابدين لأنه كان يوم كربلاء صغيراً.

ومن أبناء الحسن بن على بقى حسن وعمرو ومن أبناء السيدة زينب: القاسم بن عبد الله وكذلك محمد بن عقيل.. ومن النساء زينب بنت على وفاطمة بنت على وسكينة بنت الحسين وزوجة الحسين الرباب والدة سكينة وأم محمد بنت الحسن بن على.

وأحست السيدة زينب -رضي الله عنها- بالكارثة التى ستحل على أهل البيت يوم كربلاء، فذهبت إلى أخيها ترجو العودة والعدول عن الخلافة فقالت له:

- واثكلاه! ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم!

ماتت أمى فاطمة وعلىٌّ أبى، وحسن أخى، خليفة الماضى، وثمال الباقى.

فنظر لها الحسين مشفقًا وقال:

- يا أُخية، لا يذهبن حلمك الشيطان.

فقالت له: بأبى أنت وأمى يا عبد الله استقلت! نفسى ونفسك العذى!

وأغشى عليها فقام إليها الحسين وصب عليها الماء حتى أفاقت وقال لها:

- يا أُخية.. اتقى الله واصبرى، وتعزى بعزاء الله، واعلمى أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون بقدرته، ويميتهم بقهره وعزته، ويعيدهم فيعبدونه وحده، وهو فرد وحده.. يا أُخية اعلمى أن أبى خير منى، وأمى خير منى، وأخى خير منى، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة.

ثم أوصاها: يا أُخَيَّة زينب، إننى أقسم عليك لا تشقى علىَّ جيبًا، وتخمشى علىَّ وجهًا، ولا تدعى علىَّ بالويل والثبور إن أنا هلكت(1).

وحين قتل الحسين وجد فى جسده ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير الرمية.

(1) الكامل فى التاريخ لابن الأثير بتصرف يسير.

Scanned by CamScanner

وذكر البعض ومنهم ابن كثير -رحمه الله- أنه قتل مع الحسين من ولده وأخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً كلهم من أهل البيت، ليس على وجه الأرض مثلهم أو لهم شبه ومنهم:

من أولاد عليٍّ بن أبى طالب من نسل فاطمة وغيرها ممن تزوج بهن بعد موتها!

جعفر، والحسين، والعباس، ومحمد، وعثمان، وأبو بكر.

ومن أولاد الحسين: على الأكبر، وعبد الله.

ومن أولا الحسن: عبد الله، والقاسم، وأبو بكر.

ومن أولاد زينب: عون ومحمد أولاد عبد الله بن جعفر.

ومن أولاد عقيل: جعفر وعبد الله وعبد الرحمن ومسلم وغيرهم -رضي الله عنهم- أجمعين-.

وأخذ آل البيت الباقون من بنات الحسين وابنه زين العابدين وأخته زينب وأختها فاطمة بنت على إلى الأمير عبيد الله بن زياد وكانت زينب تبكى أخاها قائلة:

يا محمداه... يا محمداه.. صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مزمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه، وبناتك سبايا، وذريتك مقتَّلة، تسفى عليها الصبابا!

شجاعتها -رضي الله عنها-:

وبكى كل من حولها.. العدو قبل الصديق.. ورغم ما ألم بها من مصيبة وحزن إلا أنها كانت فى شجاعة الأبطال ذات حكمة ورأى

صائب وقولٍ بليغ سجل لها التاريخ هذا الحوار بينها وبين أمير الكوفة: لما دخلت عليه ومن معها من أهل البيت فقال لها:

- الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

فقالت له فى حدَّة: بل الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد، وطهرنا تطهيرًا، لا كما تقول.. وإنما يفتضح الفاسق الكاذب الفاجر.

فقال ابن زياد: فكيف رأيت صُنع الله بأهل بيتك!

فقالت بلهجة أكثر حدَّة:

- كُتبَ عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فيحاجوك إلى الله عز وجل.

وغضب ابن زياد من كلامها واشتد غضبه وسخطه واستشاط حتى قال له عمرو بن حريث:

- أصلح الله الأمير! إنما هى امرأة، وهل تؤخذ المرأة بشىء من منطقها! إنها لا تؤاخذ بما تقول ولا تلام على خطل.

فقال ابن زياد: قد شفى الله غيظى من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك.

فردت عليه زينب قائلة:

- لعمرى لقد قتلت كهلى، وأبرزت أهلى، وقطعت فرعى، واجتثت أصلى، فإن يشفيك هذا فقد اشتفيت.

Scanned by CamScanner

فقال ابن زياد:

- هذه شجاعة، لعمرى لقد كان أبوك شجاعًا.

فقالت زينب ساخرة: وما للمرأة والشجاعة[1]؟

وأراد عبيد الله بن زياد قتل على زين العابدين بن الحسين - رضي الله عنهم - وهو ما بقى من ذرية الحسين، قال له زين العابدين: مَنْ توكّل بهذه النسوة؟

وتعلقت السيدة زينب بابن أخيها وقالت لابن زياد:

- يا ابن زياد، حسبك منا ما فعلت بنا، أما رُويتَ من دمائنا؟ وهل أبقيت منا أحدًا؟

ثم قالت له بعد أن اعتنقت ابن أخيها الصغير المريض:

- أسألك بالله إن كنت مؤمنًا إن قتلته لما قتلتنى معه.

فقال على زين العابدين: يا ابن زياد، إن كان بينك وبينهن قرابة، فابعث معهن رجلاً تقيًّا يصحبهن بصحبة الإسلام.

فقال ابن زياد لمن حوله: عجبًا للرحم! والله إنى لأظن أنها ودَّتْ لو أنى قتلته أن أقتلها معه، دعوا الغلام فيطلق مع نسائه.

ثم تركه وأرسلهم إلى دمشق للقاء الخليفة يزيد بن معاوية، ودخلوا عليه وهيئتهم رثة من السفر، فأكرم يزيد مثواهم وجرت محاورة بينه وبين زينب بنت على على غرار ما حدث فى الكوفة مع ابن زياد.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير بتصرف بسيط.

وفى البداية رق قلب يزيد لهم، ولكن أحد رجاله من أهل الشام نظر إلى فاطمة بنت على بن أبى طالب وهى أخت زينب لأبيها وقال للخليفة يزيد:

- يا أمير المؤمنين، هب لى هذه.

فارتعدت فاطمة بنت على وأمسكت بثياب أختها زينب، فقالت له زينب فى حسم وشجاعة:

- كذبت! والله لؤمت ما ذلك لك وله.

فغضب يزيد وقال لها: كذبت! والله إن ذلك لى، ولو شئت أن أفعله لفعلت.

فقالت له زينب بجرأة: كلا يا يزيد! والله ما جعل الله ذلك لك، إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا.

وغضب يزيد من ردها حتى صعد الدم فى وجهه وقال لها: إياى تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدنيا أبوك وأخوك.

فقالت له وقد ازدادت قوة وإيمان وصدق:

بدين الله ودين أبى ودين أخى وجدى، اهتديت أنت وأبوك وجدك.

فازدادت حدة يزيد وغضبه فقال: كذبت يا عدوة الله.

فقالت له: أنت أمير المؤمنين مُسلط تشتم ظالمًا، وتقهر بسلطانك.

Scanned by CamScanner

فاستحى يزيد وسكت.

وحين قال له الرجل الشامى مرة أخرى:

- هب لى هذه.

قال له يزيد: أُغرب، وهب الله لك حتفًا قاضيًا.

وأمر يزيد إلى النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى وكان من أمراء بنى أمية -رضي الله عنه- أن يبعث مع زينب -رضي الله عنها- ومن معها من آل البيت رجلاً صالحًا ومعه رجال وعدة وسلاح إلى المدينة المنورة.

وأمر يزيد أيضًا نساءه وآل معاوية أن يبكين الحسين ثلاث ليال، وأكرم ضيافة آل البيت وقال لابن الحسين على زين العابدين: إن الله قد قضى ما رأيت؟

وبعد انتهاء الأيام الثلاثة سار ركب آل البيت إلى المدينة المنورة.

وعادت السيدة زينب -رضي الله عنها- إلى المدينة حيث زوجها، وقد تركت هناك فى كربلاء أخاها وابنيها حيث قتلوا مع باقى أهل البيت ومن شايعهم هناك.

وكان زوجها عبد الله بن جعفر -رضي الله عنهما- قد تلقى نعى ولديه بالصبر، وقال له بعض مواليه الذين جاءوا لتعزيته: هذا ما لقيناه من الحسين!

فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله وقال: يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه، والله

إنه عمّا يُسَخى بنفسى عنهما، ويهون علىَّ المصاب بهما، إنهما.. إن لم تكن أستِ الحسين يدى، فقد أساه ولدى[1].

هل دفنت السيدة زينب بمصر أو الشام؟

عاشت -رضي الله عنها- بعد معركة كربلاء واستشهاد ولديها عون ومحمد وأخيه الحسين -رضي الله عنه- بالمدينة المنورة ولم يمض إلا عام واحد وتوفيت -رضي الله عنها- عام ٦٢هـ.

وقد قالوا دون سند أنها دفنت بمصر ولها مقام ومسجد يحمل اسمها، وهى بحى السيدة زينب وسمى الحى على اسم المسجد والضريح، وقديمًا كان يسمى «قناطر السباع».

وقالوا بدون سند أنها دفنت بدمشق ولها أيضًا ضريح يحمل اسمها.

والحقيقة أن السيدة زينب بنت على -رضي الله عنها- لم تحضر إلى مصر ولم تدفن فيها وأنها بعد عودتها من دمشق بعد معركة كربلاء ذهبن آل البيت إلى المدينة المنورة حيث إقامة زوجها ومكثت هناك عامًا واحدًا وماتت ودفنت مع آل البيت بالبقيع بالمدينة.

وقد جاء صاحب كتاب الخطط التوفيقية «على مبارك» فى إثبات صحة أن السيدة زينب لم تدفن فى مصر أو سوريا وإنما دفنت بالبقيع بالمدينة المنورة، فقال:

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير بتصرف يسير.

Scanned by CamScanner

«لم أر فى كتب التاريخ أن السيدة زينب بنت على -رضي الله عنها- جاءت إلى مصر فى الحياة أو بعد الممات».

وذكر الأدلة على صحة قوله، وقد ذكر الثقة القدوة أبو الحسين محمد بن جبير الأندلسى الغرناطى فى رحلته التى عملها فى أواخر القرن السادس الهجرى أن ما حصله العيان بمصر المحروسة من مشاهد الشريفات العلويات -رضي الله عنهن- وتلقيناه من التواريخ الثابتة عليها مع تواتر الأخبار بصحبة ذلك هو: مشهد السيدة أم كلثوم بنت القاسم ابن محمد بن جعفر ومشهد السيدة زينب بنت يحيى بن زيد بن الحسن بن على ومشهد أم كلثوم بنت محمد بن جعفر الصادق ومشهد السيدة أم عبد الله بن محمد. -رضي الله عنهم-. ولم يذكر مشهد السيدة زينب بنت على أخت الحسين -رضي الله عنهما-.

وكذلك ذكر ما عند «السخاوى» على أن السيدة زينب أو أحد من أخواتها لم يزر مصر ولم يمت فيها أيضاً[1].

والخلاصة أنه لا يوجد دليل من المؤرخين والرحالة فى كتبهم أن السيدة زينب بنت على أو أحد من أخواتها قد دفن فى مصر أو الشام، ولعل المدفونة فى مصر هى زينب أخرى من آل البيت وليست زينب بنت على -رضي الله عنهما-، وأن الذى أشاع أنها مدفونة فى مصر هم

---

(١) المزارات للسخاوى بتصرف، ولم يذكر أن السيدة زينب بنت على عاشت ودفنت فى مصر سوى كتب الصوفية والدليل عنده هو ما يسمى بالكشف الروحانى.

الفاطميون أسوة بما فعلوه من قصة نقل رأس الحسين من الشام إلى مصر وذلك فى الفترة التى حكموا فى البلاد المصرية والشامية.. والله تعالى أعلم.

وسلام على زينب الصغرى بنت على بن أبى طالب -رضي الله عنها- فى الصالحين والصديقين فى جنات النعيم مع آل البيت الطيبين الأبرار.

Scanned by CamScanner

٩

أم كلثوم بنت على بن أبى طالب

- رضى الله عنهما -

أخت الحسن والحسين - رضى الله عنهما -

وابنة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها -

وزوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -

وابنة أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه -

وحفيدة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

Scanned by CamScanner

[٩] أم كلثوم بنت على -رضي الله عنها-

لها الفخر.. كل الفخر.. فهى ابنة أمير المؤمنين على بن أبى طالب -كرم الله وجهه-.. وزوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.. وأمها: فاطمة بنت محمد -صلى الله عليه وسلم-.. وجدها هو الرسول الخاتم -صلى الله عليه وسلم-.. وجدتها هى السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-، وأخواها: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة -رضي الله عنهما- وأخت السيدة زينب بنت على -رضي الله عنها-. الميلاد: بالمدينة المنورة فى أواخر عهد النبى -صلى الله عليه وسلم-، فرح بها وسماها أم كلثوم تيمنًا على اسم خالتها أم كلثوم بنت محمد -صلى الله عليه وسلم-.

عاشت أم كلثوم بنت على -رضي الله عنها- خمس سنوات فى حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ورغم قصر الفترة التى عاشتها إلا أنها نهلت من معين النبوة، ثم ماتت أمها بعد جدها بستة أشهر فنشأت فى رعاية أبيها الإمام على بن أبى طالب -رضي الله عنه- الذى أحاطها بالرعاية والحنان والحب الأبوى ومعها شقيقتها زينب الصغرى، وأخواها الحسن والحسين.

وتزوجت أختها زينب من ابن عمها عبد الله بن جعفر الجواد بن الجواد.

Scanned by CamScanner

زواجها من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

أراد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن يصل نسبه بنسب رسول الله -ﷺ-، بعد أن صاهره بزواج ابنته حفصة من رسول الله -ﷺ-.. وكان قد سمع من رسول الله -ﷺ- قوله:

«كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى»(١).

ونظر حوله فلم يجد أفضل من ابنة الإمام على -رضي الله عنه- وسأل أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- أن يزوجه أم كلثوم بعد أن تزوجت زينب بابن عمها فقال له على:

- يا أمير المؤمنين، إنك تعلم أننى قد حبست بناتى على أولاد أخى جعفر الطيار، وإن أم كلثوم ما تزال صبية صغيرة.

فقال وهو مصر على إيصال نسبه بنسب رسول الله -ﷺ-، لا يبتغى من وراء تلك الزيجة إلا ذلك الهدف السامى:

- زوجنيها يا علىّ! فوالله يا أبا الحسن ما على ظهر الأرض يرصده من حسن صاحبتها ما أرصد، وأرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد.

فقال على -رضي الله عنه-: فإن رضيتها فقد زوجتكها.

وأراد على -رضي الله عنه- أن يجعل أمير المؤمنين عمر أن يرى عروسه دون أن يخدش حياء ابنته.. فأرسلها إليه ومعها ثوب وقال لها:

(١) ذكره ابن سعد فى طبقاته والهيثمى فى الزوائد والحاكم فى المستدرك والذهبى فى تاريخ الإسلام.

يا بنية، انطلقى بهذا الثوب إلى أمير المؤمنين عمر، وقولى له: إنى أبى أرسلنى بهذا الثوب، وهو يقرئك السلام، ويقول: إن رضيت هذا الثوب فأمسكه، وإن لم ترضه فردّه.

وكانت تلك الحيلة من علىّ -رضي الله عنه- حتى إذا لم تعجب العروس عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لم يتم الزواج وإذا قبلها وأعجبته يكون الزواج قد تم بالفعل.. وحينها تعلم العروس بالأمر.

وذهبت أم كلثوم بنت على إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تحمل الثوب فى يدها، فلما رأت عمر قالت له:

- يا أمير المؤمنين: هذا الثوب الذى أخبرك أبى عنه.

فقال لها: بارك الله فيك، وفى أبيك، قد رضينا ما قال.

وعادت أم كلثوم إلى أبيها فقالت فى استغراب:

- يا أبت إن عمر لم ينظر إلى الثوب، ولم ينشره، ولكن ما نظر إلا إلىّ، وألم أكن لأتوقع ذلك.

قال لها على: يا بنية، قد زوجتك إياه. وهو زوجك. وصمتت أم كلثوم، وأدركت مقصد أبيها من إرسالها ومعها الثوب إلى أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- ورضيت بهذا الزواج(١).

وخرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو أمير المؤمنين وقتها إلى

(١) ذكر القصة أصحاب التاريخ والسير فى كتبهم مثل الطبرى فى تاريخه وابن سعد فى الطبقات وأعلام النساء ومختصر تاريخ دمشق وغير ذلك.

الناس يعلن خبر هذا الزواج المبارك الذى سعد به كثيراً، فدخل المسجد النبوى حيث مجلس المهاجرين وألقى عليهم السلام وقال:

- يا معشر المهاجرين والأصاحب.. هنئونى وزفونى.

فقال: بمن يا أمير المؤمنين.

قال: لأم كلثوم بنت على وابنة فاطمة الزهراء، وأخبرهم أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول:

«كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة ما خلا سببى ونسبى، وكل ولد فإن عقبهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإنى أبوهم وعقبهم»(١).

وإننى قد صحبت النبى -ﷺ- فأصبت أن يكون هذا النسب بالإضافة إلى الصحبة.

وفرح الصحابة بهذا الزواج، وباركوا أميرهم وتم الزواج على مهر قدره أربعين ألف درهم.

أم كلثوم فى البيت العمرى:

وهكذا تحقق لعمر بن الخطاب ما تمنى، فقد أصبح على بن أبى طالب حماه وفاطمة الزهراء حماته، واتصل نسبه برسول الله -ﷺ-.

---

(١) كنز العمال لعلاء الدين المتقى الهندى، در السحابة للشوكانى.

وعاشت أم كلثوم بنت على فى بيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقد حظيت بمكانة عالية مرموقة، وكانت خير الزوجات مثل أمها وجدتها.

وكلنا يذكر قصة أمير المؤمنين حين خرج ليلاً فوجد امرأة قد جاءها المخاض فأرسل عمر بن الخطاب -﵁- أم كلثوم زوجته كى تساعدها.. والقصة فى كتب التاريخ والسير تقول:

خرج عمر بن الخطاب -﵁- فى إحدى الليالى يتحسس أخبار رعيته بالمدينة وما حولها، ومر عمر ببيت -خيمة- فإذا برجل قاعداً، وسمع من داخل الخيمة أنين امرأة لم يتبين هذا الأنين وما سببه!!

فاقترب عمر من الرجل وألقى عليه السلام، ورد الرجل السلام على عمر بن الخطاب، وهو لا يعرفه.

فقال عمر: مَنِ الرجل، ومن أين أقبل؟

قال الرجل وفى نبرة الحزن: يا هذا إننى رجل من أهل البادية، وقد قدمت لأصيب من نوال أمير المؤمنين عمر، وآخذ من فضله، فقد سمعنا أنه يعطى الناس كلهم.

فقال عمر للرجل وهو ما زال يسمع أنين المرأة:

- ما هذا الصوت الذى يرشح بالألم وأسمعه فى البيت أخبرنى يرحمك الله.

قال الرجل: يا أخا العرب.. انطلق لحاجتك يرحمك الله. ودعنى وشأنى.

فرد عمر: علىَّ ذلك، فما هو هداك الله!

فقال الرجل فى حزن وأسى: إنها امرأتى، وقد جاءها المخاض فى هذه الليلة وفى هذه البقعة.

فقال عمر: هل عندها أحد من النساء كيما يساعدها.

فقال الرجل: ليس عندها أحد، وقد قدمنا الليلة ونحن وحيدان فى هذا المكان.

وأسرع عمر مهرولاً نحو بيته، وأيقظ امرأته أم كلثوم وقال لها: يا ابنة الكرام، هل لك فى أجر ساقه الله عز وجل إليك؟

فقالت: وما هو يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: امرأة من البدو قد جاءها المخاض بظاهر المدينة، وهى غريبة وليس عندها أحد.

فقالت أم كلثوم: نعم إن شئت وأذنت يا أمير المؤمنين لى فى الخروج.

قال عمر: أحب ذلك، فأسرعى وخذى معك ما ينفع المرأة ويصلح ولادتها من الخرق والدهن وغير ذلك.

وأعدت أم كلثوم ما يلزم المرأة من أشياء وأدوات، وقال لها عمر:

- يا ابنة الكرام، أتينى بقدرٍ وشحم وحبوب.

فأحضرت له ما طلب، وحمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القدر والسمن والحبوب وكأنه حمال فى السوق، وسارت أم كلثوم خلفه وقد حملت حوائجها، حتى انتهيا إلى بيت البدوى، وتوقف عمر وقال لزوجته أم كلثوم بنت على: أدخلى فأصلحى شأن المرأة وساعديها.

واقترب عمر من الرجل البدوى، وجهز القدر لإعداد الطعام وقال له:

- يا هذا، أوقد لى نارًا، وأحضر الرجل النار وأخذ عمر يعالج الطعام حتى نضج.

وبعد وقتٍ من الليل. ولدت المرأة غلامًا وصاحت أم كلثوم تقول:

- يا أمير المؤمنين.. بشر صاحبك بغلام.

وارتعد الرجل حين سمع كلمة أمير المؤمنين وأخذته رهبة شديدة، هل هذا معقول أن يكون الذى أمامه يصلح الطعام، وكان يحمل السمن والحبوب على كتفه هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.. وأم كلثوم زوجته هى القابلة التى ولدت زوجته.. ومن خوف الرجل ابتعد بهدوء عن أمير المؤمنين عمر ثم أخذ يردد عبارات الاعتذار إليه:

- لا تؤاخذنى يا أمير المؤمنين.

Scanned by CamScanner

ولكن عمر أخذ يهدأ من روع الرجل ويقول له:

- مكانك يا أخا العرب، كما أنت، ولا يكن فى صدرك حرج، ولا تُرع.

فسكن الرجل وهدأ وشكر لعمر صنيعه.

ووضع عمر الطعام الذى صنعه للمرأة ووضعه أمام الباب ونادى امرأته أن تأخذه كى تطعم المرأة منه.

وبعد أن اطمئن عمر وزوجته على حال المرأة والوليد انصرفا، وقال للرجل: إذا أصبح الصباح، فتعال نأمر لك بما يصلحك إن شاء الله.

فى اليوم التالى توجه الرجل نحو المدينة ومقر الخلافة ودخل على عمر أمير المؤمنين، فوصله وأعطاه نفقته وأحسن إليه، وعاد الرجل إلى أهله مسروراً سعيداً بما رأى وسمع وأخذ من عطايا بيت المال(١).

وعلى هذا المنوال كانت حياة أم كلثوم تأمل فى بيت زوجها الخليفة، فاستطاعت أن توفر لزوجها أسباب الراحة فى البيت وأطاعته فى كل ما يرضى الله ورسوله، رغم خشونة العيش الذى كان يعيشه أمير المؤمنين عمر من زهد فى الدنيا وشظف فى المعيشة، ورغم أنها كانت صغيرة السن ولكنها سليلة بيت النبوة.

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

وصبرت أم كلثوم بنت على -رضي الله عنهما- فى معيشتها الخشنة مع أمير المؤمنين عمر ولم تتأفف فقد كانت أختها زينب تحيا حياة لينة مع زوجها عبد الله بن جعفر -رضي الله عنه-.. وذات يوم قسم عمر بن الخطاب مروطًا بين نساء من نساء المدينة وبقى مرط واحد فقال له بعض من عنده:

- يا أمير المؤمنين.. أعط هذا ابنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التى عندك -أى أم كلثوم بنت على-.

فقال عمر: أم سليط أحق.. فإنها كانت تزفر -تحمل- لنا القرب يوم أحد(١).

لقد كان عمر يعدل فى أهل بيته كما يعدل بين الرعية، ولا يخشى فى الحق لومة لائم، فقد رأى أن الصاحبية أم سليط أحق من زوجته فى العطاء فأعطاها هذا الثوب دون حرج، وكان يعلم زوجته أن تسلك هذا السبيل، فكان من الممكن أن يأكل ألين الطعام ويلبس أفخر الثياب، ولكن كان يعامل نفسه بأقسى ما يعامل به أحداً من الناس فهو لا يريد أن تكون دنياه ترف وحظه من الآخرة قليل. وحين عوتب فى ذلك قال: إنى تركت صاحبى -أى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر الصديق -رضي الله عنه- على جادة، فإن أدركت جادتهما فلم أدركهما فى المنزل -أى المنزلة-.

(١) ذكره البخارى فى صحيحه. والمرط هو الثوب، وأم سليط من نساء الأنصار بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

Scanned by CamScanner

ويروى لنا الطبرى فى تاريخه أن السيدة أم كلثوم أهدت إلى ملكة الروم هدية، فأرسلت ملكة الروم إليها بهدية عقد فاخر غال الثمن يصلح لنساء الملوك.. وحين جاء البريد بالهدية إلى أم كلثوم -رضي الله عنها-.. وشاهد عمر بن الخطاب الهدية أمسكه ثم دعا إلى الصلاة الجامعة.. وحين سمع المسلمون بالنداء للصلاة علموا أن أمرًا هامًا حدث يريد عمر بن الخطاب أن يحدث به، فاجتمعوا فى المسجد النبوى وصلى بهم عمر بن الخطاب ركعتين ثم صعد المنبر وقال:

- إنه لا خير فى أمر أجرم من غير شورى من أمورى، قولوا فى هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فأهدت لها امرأة ملك الروم.

فقالت الصحابة: يا أمير المؤمنين، هو لها.. بالذى لها.. وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به، ولا تحت يدك فتتقيك.

وقالوا أيضًا: يا أمير المؤمنين، إنك تعلم أنا قد كنا نُهدى الثياب وغيرها لنستثيب، ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمنًا.

ولكن عمر بن الخطاب قال لهم:

- معاشر المسلمين، إن الرسول -ﷺ- -أى صاحب البريد- والبريد بريدهم، المسلمون عظموا أم كلثوم فى صدورهم.

وأمر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- برد الهدية إلى بيت مال المسلمين، ورد على أم كلثوم مالاً بقدر ما أنفقته على هديه زوجة

ملك الروم. وشكرت أم كلثوم بنت على زوجها ما صنع ودعت له بكل الخير.

وهكذا عاشت أم كلثوم -رضي الله عنها- فى البيت العمرى، وشهدت الأحداث العظيمة والانتصارات التى تحققت لجيش المسلمين أبان خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وما فتح الله به على الأمة الإسلامية وكيف انهزمت وانتهت ممالك ظالمة مثل فارس والروم ودخل الناس فى دين الله أفواجًا.

ورأت العدل يتحقق كما أراد الله بين العباد على الأرض حتى آمن الرعية على أنفسهم ومالهم وكل شيء ولله الحمد.

وأنجبت أم كلثوم من عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ابنة هى رقية وولدًا سماه زيدًا.

وفى عام ٢٣هـ قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على يد أبى لؤلؤة المجوسى ونال الشهادة التى كان يطلبها ويدعو الله كما جاء فى الصحيحين: «اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك، وموتًا فى بلد رسولك» فاستجاب الله له وجمع له بين الشهادة والموت فى بلد رسول الله -ﷺ- بالمدينة المنورة ودفن فى قبر الرسول -ﷺ- مع صاحبه أبى بكر الصديق -رضي الله عنه-.

وحزنت أم كلثوم لموت زوجها أمير المؤمنين وعادت إلى بيت أبيها على بن أبى طالب، وبعد انقضاء عدتها تقدم للزواج منها سعيد ابن العاص الأموى القرشى الصحابى، وكان من الفضلاء المشهورين

بالجود والكرم والفصاحة، ووافقت أم كلثوم على الزواج منه وشاورت أم كلثوم أخويها: الحسن والحسين، فوافق الحسن وكره الحسين هذا الزواج.

وعلم سعيد بن العاص أن الحسين يرفض هذا الزواج، فعدل عنه.

زواجها من ابن عمها:

وتروى كتب السيرة -لابن إسحاق وتاريخ الذهبى- أنه بعد أن مات عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وانقضاء عدتها دخل عليها أبوها على ابن أبى طالب وعندها الحسن والحسين وكان قد قالا لها:

- يا أم كلثوم، إنك ممن عرفت، سيدة نساء المسلمين وبنت سيدة نساء العالمين، وإنك والله ما مكنت أباك من رقبتك أنكحك بعض أيتامه، وإن أردت أن تصيبى بنفسك مالاً عظيمًا لتصيبنه. وحين أقبل أبوها وهما عندها قال:

- قد عرفتم منزلتكم عندى يا بنى فاطمة، وأثرتكم على سائر ولدى، لمكانتكم الكريمة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقرابتكم منه.

فقالا له الحسن والحسين: يا أبانا صدقت، فجزاك الله عنا خير الجزاء وأعظمه.

وقال لابنته: أى بنية، إن الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك، فأنا أحب أن تجعليه بيدى.

فقالت له أم كلثوم: أى أبتى، إنى امرأة فيما يرغب فيه النساء، وأحب أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا، وأنا أريد أن أنظر فى أمر نفسى.

ونظر إليها أبوها وعلم أن هذا ليس رأيها، فقال لها بحزم: لا والله يا بنية، ما هذا رأيك ما هو إلا رأى هذين.

وأشار إلى الحسن والحسين ثم أراد أن ينصرف فقال: والله لا أكلم رجلاً منهما أو تفعلين.

ونهض إليه الحسن والحسين مسرعين يسترضينه ويقولان: اجلس يا أبة.. فوالله ما لنا على هجرتك من صبر.

وقالا لأختيهما: يا أخية اجعلى أمرك بيده، رحمك الله.

فقالت أم كلثوم: قد فعلت.

فقال على بن أبى طالب لها: فإنى قد زوجتك من عون بن جعفر وهو ابن عمك.

وهكذا تزوجت أم كلثوم بنت على بابن عمها عون بن جعفر -رضي الله عنه- وظلت معه حتى مات شهيدًا. وبعد انقضاء عدتها زوجها أبوها من ابن عمه محمد بن جعفر وعاشت حتى استشهد أيضًا ثم زوجها من ابن عمها أيضًا عبد الله بن جعفر وعاشت معه حتى توفيت -رضي الله عنها- فى يوم واحد مع ابنها زيد بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-.

Scanned by CamScanner

وتروى كتب السيرة أن ابنها زيد بن عمر حضر إلى قومه بنى عدى بن كعب ليلاً.. ليصلح بينهما.. فأصابه حجرًا وهو لا يعرفه فى الظلمة.. فمات من فوره.

وعلمت أم كلثوم -رضي الله عنها- بالخبر فخرجت وهى تقول: يا ويلاه.. ما لقيت من صلاة الغداة، فقد قتل زوجها عمر بن الخطاب وأبوها على بن أبى طالب -رضي الله عنهما- فى صلاة الصبح، وكذلك مات ابنها زيد أيضًا فى صلاة الغداة، وقعت مغشيًّا عليها من الحزن وماتت، ودفنت مع ابنها بالبقيع فى المدينة المنورة. وصلى عليهما عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم- أجمعين-. وكانت وفاتهما فى عهد معاوية بن أبى سفيان -رضي الله عنه-.

١٠

عائشة - رضي الله عنها -

ابنة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -

[١٠] عائشة بنت عثمان بن عفان -رضي الله عنهما-

بنات عثمان بن عفان:

تزوج عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أكثر من زوجة على مدار حياته، وعلى رأس الزوجات تأتى بنتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الأولى رقية بنت محمد -صلى الله عليه وسلم- وبعد وفاتها يوم غزوة بدر الكبرى تزوج بأختها أم كلثوم بنت محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك سمى بذى النورين.. ولكن أم كلثوم ماتت أيضًا فى حياة أبيها.. وتزوج عثمان -رضي الله عنه- بأخريات من نساء المسلمين.. ولم ينجب عثمان -رضي الله عنه- من أم كلثوم -رضي الله عنها-(١).. وأنجب من زوجاته الأخريات الذكور والإناث.

فأنجب من أم عمرو بنت جندب ابنته مريم.

وأنجب من فاطمة بنت الوليد المخزومية ابنته فاطمة.

وأنجب من نائلة بنت الفرافصة ابنته مريم الصغرى.

وأنجب من رملة بنت شيبة بن ربيعة ابنته فاطمة. وابنتيه أم أبان وأم عمرو.

وأنجب ابنته أم البنين من جارية أم ولد.

---

(١) ذكر النووى أنه أنجب من رقية ولده عبد الله الأصغر ولم يعش وليس له عقب.

Scanned by CamScanner

وأولاده الذكور عبد الله الأكبر وأمه فاختة بنت غزوان، وعبد الله الأصغر وأمه رقية بنت رسول الله، وعمرو وأبان، وخالد وعمر والوليد والمغيرة وعبد الملك[١].

قطوف من سيرة الأب عثمان -رضى الله عنه-:

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى، أبو عمرو ويقال: أبو عبد الله[٢].

ولد فى السنة السادسة من عام الفيل وأسلم قديمًا بمكة، على يد أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة، تزوج رقية بنت رسول الله -ﷺ- قبل النبوة، وهاجرت معه الهجرتين وماتت عنده فى ليالى بدر، ولم يشهد غزوة بدر لتمريض زوجته رقية بإذن رسول الله -ﷺ-، وضرب له بسهمه من الغنائم وعُدَّ من البدريين بذلك.

قال أهل العلم: لا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ولذلك سمى ذا النورين، قال الحسن: إنما سمى عثمان ذا النورين لأنه لا نعلم أحدًا أغلق بابه على ابنتى نبى غيره.

وقد تزوج بابنة رسول الله -ﷺ- الثانية أم كلثوم -رضى الله عنها-، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة.

(١) تهذيب الأسماء للنووى.
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى.

ولما ماتت أم كلثوم -رضى الله عنها- قال رسول الله -ﷺ-: **«لو أن لى أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة»**[١].

وقال أيضًا: **«زوجوا عثمان، لو كان لى ثالثة لزوجته، وما زوجته إلا بالوحى من الله»**[٢].

وكان -رضى الله عنه- يشبه أبو الأنبياء فى الخلقة كما قال رسول الله -ﷺ-: **«إنا نُشبه عثمان بأبينا إبراهيم»**[٣].

وأخرجه البخارى ومسلم عن عائشة -رضى الله عنها- أن النبى -ﷺ- جمع ثيابه حين دخل عليه عثمان. ولم يفعل ذلك مع أبى بكر وعمر حين دخلا عليه وحين سئل عن ذلك قال: **«ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة»**.

وعثمان بن عفان -رضى الله عنه- من العشرة الذين بشرهم النبى -ﷺ- بالجنة، وهو من الذين جهزوا جيش العسرة فى غزوة تبوك ثلاثمائة بعير بما عليها من متاع وزاد فقال رسول الله -ﷺ-: **«ما على عثمان ما عمل بعد هذه شىء»**[٤].

وهو الذى حفر بئر رومة للمسلمين.

(١) أخرجه الطبرانى وذكره السيوطى فى تاريخ الخلفاء.
(٢) أخرجه ابن عساكر وذكره السيوطى فى التاريخ.
(٣) أخرجه ابن عساكر.
(٤) أخرجه الترمذى.

Scanned by CamScanner

وحين أخذ رسول الله -ﷺ- بيعة الرضوان من المسلمين تحت الشجرة وكان عثمان قد أرسله رسول الله -ﷺ- لأهل مكة، فقال رسول الله -ﷺ-: **«إن عثمان بن عفان فى حاجة الله وحاجة رسوله»** فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله -ﷺ- لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم.

تولى الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فمكث فيها اثنا عشر عامًا، انتهت بمقتله بالمدينة فى أحداث الفتنة.

وفى عهده فتحت حصون كثيرة من بلاد الروم، وكانت أول غزوة للمسلمين عن طريق البحر حيث غزا معاوية بن أبى سفيان جزيرة قبرص سنة ٢٧هـ، وفتحت إفريقيا شمالاً حتى الأندلس عام ٢٧هـ، ووسع مسجد رسول الله -ﷺ- وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل أعمدته من الحجارة وسقفه بالساج وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع.

وفتحت بلاد خراسان ونيسابور وغيرها فى عهده -رضي الله عنه-.

وكان مقتله أول الفتنة عام ٣٥هـ -رضي الله عنه-.

أم عائشة بنت عثمان:

هى رملة بنت شيبة واحدة من الصاحبيات، أبوها شيبة بن ربيعة ابن عبد شمس أحد الذين حاربوا الإسلام مع أخيه عتبة بن ربيعة، وقتلا يوم بدر على الكفر.

ورغم أن أباها وعمها من صناديد قريش، وأكثرهم عداوة للإسلام ونبى الإسلام -ﷺ- إلا أن ذلك لم يمنع رملة -رضي الله عنها- من الإسلام، فدخلت فى الإسلام رغم اعتراض ابنة عمها هند بنت عتبة التى كانت تعيرها بقتل أبيها شيبة بن ربيعة يوم بدر على أيدى المسلمين.

وهاجرت رملة إلى المدينة، وتزوجت عثمان بن عفان هناك بالمدينة المنورة، وأنجبت له ابنته عائشة وأم أبان وأم عمرو.

عائشة بنت عثمان -رضي الله عنها-:

ولدت عائشة بنت عثمان بن عفان -رضي الله عنهما- بالمدينة فى أواخر عصر النبى -ﷺ-، ونشأت فى رعاية أبوين كريمين.

وتروى كتب السير أن عائشة بنت عثمان كانت ذات جمال وخلق كريم، وقد خطبها أبان بن سعيد بن العاص، فقالت: هو أحمق والله لا أتزوجه أبدًا.

فقيل لها: ولِمَ ذاك؟

قالت: له برذونان أشهبان فهو يحتمل مؤونة اثنين، وهما عند الناس واحد(١).

وتزوجت عائشة بنت عثمان من الحارث بن الحكم، وأنجبت له ولدين هما أبو بكر وعثمان. ثم تزوجت بعده من عبد الله بن الزبير ابن العوام.

---

(١) أعلام النساء.

Scanned by CamScanner

وحين قتل أبوها عثمان بن عفان -﵁-، بكت كثيراً وظلت على حالها حتى عام الجماعة حين تولى معاوية خلافة المسلمين عام ٤١هـ وقدم المدينة المنورة، وتوجه إلى دار عثمان بن عفان -﵁-، ومعه رجال من قريش، فلما دنا من الدار صاحت وندبت عائشة أباها وبكت وقالت: واأبتاه واعثماناه.

فقال معاوية لمن معه: انصرفوا إلى منازلكم يرحمكم الله، فإن لى حاجة فى هذه الدار.

ودخل معاوية مسكن عائشة بنت عثمان ثم أمرها أن تكف عن البكاء وعن مناداة أبيها وقال لها:

- يابنة أخى إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانًا، وأظهرنا لهم حلمًا تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، ومع كل إنسان سيفه، وهو يرى مكان وموضع أصحابه وأنصاره، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين، خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك[١].

وهكذا أخمد معاوية -﵁- نار الفتنة بين المسلمين، وكذلك النار التى اشتعلت فى قلب عائشة بنت عثمان على مقتل أبيها والطلب بثأره وهذا جزء يسير من سيرتها وسيرة أبيها وأمها -﵃ أجمعين-.

---

(١) من كتب السيرة بتصرف بسيط.. البداية والنهاية وأعلام النساء وغيرهما.

من بنات الحسين بن على -﵁-

[١١] فاطمة بنت الحسين -﵂-

[١٢] سكينة بنت الحسين -﵂-

Scanned by CamScanner

الحسين أبو البنات - رضي الله عنه -

الأب هو الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيٍّ القرشى الهاشمى سبط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وريحانته - رضي الله عنه - .

سيد الشهداء، أحد سيدى شباب أهل الجنة، روى عن جده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

والداه على بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت محمد - صلى الله عليه وسلم -، ولد فى الخامس من شعبان عام أربع من الهجرة النبوية .

قالوا: الحسين أشبه برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من صدره إلى قدميه .

قال عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلى هذا**» وأشار إلى الحسين(١) .

وقال أيضًا: «**حسين سبط من الأسباط، من أحبنى فليحب حسينًا**» وفى لفظ: «**أحب الله من أحب حسينًا**»(٢) .

وقال كذلك: «**هذان ابناى، فمن أحبهما فقد أحبنى، ومن**

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده وأبو يعلى فى مسنده والهيثمى فى المجمع وصححه ابن حبان .

(٢) رواه الترمذى وأحمد وابن ماجه .

أبغضهما فقد أبغضنى» وكان -ﷺ- آخذًا بيد الحسن والحسين -رضي الله عنهما-.

وروى أحمد فى مسنده والطبرانى فى الكبير عن أنس قال:

استأذن ملك القطر على النبى -ﷺ- فقال النبى -ﷺ-: «يا أم سلمة! احفظى علينا الباب» فجاء الحسين، فاقتحم وجعل يتوثب على النبى -ﷺ-، ورسول الله يقبله، فقال المَلَكُ: أتحبه؟ قال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذى يقتل فيه. قال: نعم. فجاءه بسهله أو تراب أحمر.

والأحاديث الواردة فى فضل الحسن والحسين كثيرة جدًا فى كتب السنة الصحيحة.

١١

فاطمة بنت الحسين

- رضى الله عنها -

Scanned by CamScanner

[١١] فاطمة بنت الحسين - رضى الله عنها -

أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، تعد من التابعيات، شهدت مع أبيها معركة كربلاء.. وتزوجت من ابن عمها حسن بن حسن بن على، وأنجبت له عبد الله، وإبراهيم، وحسنًا، وزينب.

وتوفى عنها زوجها حسن بن حسن بن على فتزوجت من بعده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فولدت له القاسم ومحمد، ورقية.

وتوفى عنها زوجها الثانى عبد الله بن عمرو وأراد عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس الفهرى الزواج منها وكان يعمل واليًا على المدينة فى عهد يزيد بن معاوية ولكنها رفضت طلبه قائلة له:

- والله ما أريد النكاح ولقد قعدت على بنىَّ هؤلاء.

وألح عليها وأصرَّ على طلبه فقال:

- والله لئن لم تفعلى لأجلدن أكبر ولدك فى الخمر.

واشتكت فاطمة أمير المدينة عبد الرحمن بن الضحاك لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية أرسلت إليه شكواها عن طريق عامله ابن هرمز فقدم ابن هرمز وأخبر يزيد بن معاوية وقرأ كتاب فاطمة الذى

Scanned by CamScanner

أرسلته إليه تذكره بقرابتها ورحمها وما يفعله ابن الضحاك من تهديده لها إذا لم تتزوجه.

وغضب يزيد بن معاوية لما علم ما فعله عامله على المدينة وقال:

- لقد اجترأ ابن الضحاك.. من يسمعنى صوته فى العذاب وأنا على فراشى.

ثم دعا بقرطاس فكتب إلى عبد الواحد بن عبد الله النصرى: وهو بالطائف وقال له: قد وليتك المدينة، فأغرم ابن الضحاك أربعين ألف دينار، وعذّبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشى.

وعلم ابن الضحاك الخبر فهرب إلى الشام ولجأ إلى مسلمة بن عبد الملك واستجار به فقال له:

- قد صنع ما صنع وأدعه.

ورده إلى المدينة، فأغرمه ابن عبد الله النصرى أربعين ألف دينار وعذّبه وطاف به فى جبة من صوف(١).

وقد روت فاطمة عن جدتها وأبيها وعمتها زينب بنت على وأخيها على بن الحسين وعبد الله بن عباس وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت عميس وروى عنها أبناؤها عبد الله وإبراهيم والحسن وغيرهم.

(١) طبقات ابن سعد.

فاطمة بنت الحسين بعد كربلاء:

بعد مقتل أبيها الحسين بن على -رضي الله عنه- فى كربلاء شهيداً، قطعت رأسه وجيء بها إلى يزيد بن معاوية من كربلاء بالعراق إلى دمشق بالشام، ومعها آل بيت الحسين.

وقدموا على يزيد بن معاوية ومعهم فاطمة بنت الحسين، وقال أحد رجال يزيد بن معاوية وهو محفز بن ثعلبة: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم.

فنهاه يزيد بن معاوية عن قوله ورده:

- ما هو باللئيم أو الأحمق ولكنه قاطع وظالم.

ثم نظر إلى رأس الحسين قائلاً:

- أتدرون من أين أوتى هذا؟.. قال: أبى علىّ خير من أبيه، وأمى فاطمة خير من أمه، وجدى رسول الله خير من جده، وأنا خير منه، وأحق بهذا الأمر منه.

فأما قوله: أبوه خير من أبى.. فقد حاج أبى أباه، وعلم الناس أيهما حُكم له.. وأما قوله: أمى خير من أمه.. فلعمرى فاطمة ابنة رسول الله -ﷺ- خير من أمى، وأما قوله: جدى خير من جده، فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً وندًّا، ولكن إنما أُتىَ من قبل فقهه.. ولم يقرأ قوله تعالى:

Scanned by CamScanner

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

ودخل آل الحسين على يزيد بن معاوية فقالت فاطمة بنت الحسين:

- أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟

فقال لها:

- بل حرائر كرام، ادخلى على بنات عمك تجدين قد فعلت ما فعلت.

فقالت: والله ما ترك لنا فرص - أى قرط- قال: يا ابنة أخى ما آت إليك أعظم مما آخذ منك.

ودخلت على آل يزيد بن معاوية، وأقمن المآتم على الحسين ثلاثة أيام وبكت عليه نساء يزيد بن معاوية.

وبعد الثلاثة أيام جهزهم وأعطاهم مالاً وأرسل معهم من رافقهم إلى المدينة المنورة.

قبسات من حياتها:

عادت فاطمة بنت الحسين إلى المدينة المنورة مع آل البيت بعد مقتل الحسين بن على بكربلاء، وعاشت حتى زوجت ابنتها رقية بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان من هشام بن عبد الملك.

(١) سورة آل عمران: ٢٦.

وقسمت ميراثها بين أولادها من زوجيها، فأعطت ابنها حسن ابن حسن ميراثها من ابن عمها حسن بن الحسن بن على، وأعطت ابنها عبد الله ميراثها من أبيه عبد الله بن عمر وقالت لهما:

- يا بنى إنى كرهت أن يرى أحدكم شيئًا من مال أبيه بيد أخيه فيجد فى نفسه، فلذلك فعلت ذلك(١).

ونصائحها لأبنائها قالت:

- يا بنى.. إنه والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم، ولا أدركوا ما أدركوه من لذاتهم إلا وقد أدركه أهل المروءات بمروءاتهم. فاستتروا بستر الله.

وفاتها -رضي الله عنها-:

وعاشت حتى بلغت التسعين من عمرها وقيل أنها توفيت سنة عشر ومائة من الهجرة فى خلافة هشام بن عبد الملك.

-رضي الله عنها وأرضاها-.

(١) ابن عساكر فى تاريخه.

Scanned by CamScanner

[١٢] سكينة بنت الحسين - رضي الله عنها -

أمها هى الرباب بنت امرئ القيس..

اسمها آمنة ولقبها سكينة.

كانت ذات جمال وفصاحة وجرأة وشجاعة.. حتى أنها ذات يوم وهى صغيرة جاءت إلى أمها وهى تبكى تشتكى أن دبيرة لسعتها فأوجعتها وجعًا يسيرًا!!

تزوجت بابن عمها عبد الله بن الحسن ولم يدخل بها لقتله فى كربلاء.. ثم تزوجت بمصعب بن الزبير وأمير العراق أيام خلافة عبد الله بن الزبير أخيه..

سكينة يوم كربلاء:

شهدت سكينة مع أبيها واقعة كربلاء.. فتروى كتب السيرة والتاريخ أن الحسين سار بأهله من المدينة إلى الكوفة فقال له أهل بيته:

- لو تنكبت -أى عدلت- الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب.

قال الحسين: لا.. والله لا أفارقه حتى يقضى الله ما هو أحب إليه.

وقابل الحسين فى الطريق عبد الله بن مطيع فقال له:

- جعلت فداك أين تريد؟

قال الحسين: أما الآن فأنا أريد مكة، وأما بعدها فإنى أستخير الله.

قال: خار الله لك.. وجعلنا فداك، فإذا أتيت مكة، فإياك أن تقرب الكوفة، فإنها بلدة مشئومة بها قتل أبوك، وخذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتى على نفسه، الزم الحرم فإنك سيد العرب لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحدًا، ويتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم فداك عمى وخالى، فوالله لئن هلكت لنسترقنَّ بعدك(١).

ولكن الحسين -رضي الله عنه- سار إلى الكوفة حيث لقى قدره المقدور فى كربلاء -رضي الله عنه-.

وشهدت سكينة مقتل أبيها الحسين بن على فى كربلاء وحملت مع آل الحسين إلى يزيد بن معاوية ثم عادت إلى المدينة المنورة، وتزوجها مصعب بن الزبير وبعد مقتله تزوجت بعده عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد وأنجبت له: حكيم وعثمان وربيعة.

ونشزت سكينة على عبد الله بن عثمان، فشكتها أمهُ رملة بنت الزبير إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وقالت:

---

(١) تاريخ الطبرى.

- يا أمير المؤمنين.. لولا أن نبتز أمورنا، لم تكن لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا.

قال لها الخليفة: يا رملة إنها سكينة.

قالت: وإن كانت سكينة، فوالله لقد ولدنا خيرهم، ونكحنا خيرهم.

قال: يا رملة غرنى منك عروة.

قالت: ما غرك ولكن نصحك أنك قتلت أخى مصعبًا فلم يأمنى عليك.

وكان عبد الله بن مروان الخليفة قد خطب سكينة بنت الحسين بعد مقتل زوجها مصعب بن الزبير ولكنها رفضته قائلة: والله لا يتزوجنى بعده قاتله أبدًا.

ثم تزوجت كما ذكرنا عبد الله بن عثمان وكانت أمه رملة بنت الزبير أخت مصعب بن الزبير زوج سكينة بنت الحسين الذى قتل فى حرب عبد الملك بن مروان مع أخيه عبد الله بن الزبير.

وتزوجت سكينة بعد عبد الله بن عثمان بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان وشرطت عليه ألا يغيرها ولا يمنعها شيئًا تريده، وأن يقيم حيث خالتها أم منظور ولا يخالفها فى أمر.

وكانت تقول له اخرج بنا إلى المدينة، فإذا عاد من يومه قالت اخرج بنا إلى مكة.

وسافر زوجها زيد بن عمرو إلى الحج، وشرطت عليه ألا يذهب إلى ضيعة له فى العرج وكانت فى تلك الضيعة جوار له.. وأرسلت معه من يراقب تصرفاته والوفاء بشرطها، وإذا أخل بشرطها تكون منه طالق.

ولكن الزوج أخل بشرط زوجته وذهب إلى ضيعته واستمتع بجواريه.

وشكت سكينة زوجها إلى أمير المدينة وقتها عمر بن عبد العزيز، فبعث إليه وأحضره وحكم بينهما قاضى المدينة.. وحكم لها بالطلاق لعدم وفائه لشروطها بعد أن رفع الأمر إلى الخليفة سليمان ابن عبد الملك الذى قال لزيد: اعلم أنك قد شرطت لها شروطًا إن لم تف بها فطلقها.

ثم أصلح بينهما عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- وعاشت معه حتى مات ولم تتزوج بعده.

وماتت -رضي الله عنها- بالمدينة عام ١١٧هـ.

هل دفنت السيدة سكينة بمصر:

كما زعم البعض دون سند أن السيدة زينب بنت على قد دفنت بمصر وأقيم لها الضريح المشهور والمسجد المعروف بحى السيدة زينب، فقد قالوا أيضًا أن السيدة سكينة بنت الحسين قد جاءت إلى مصر وماتت ودفنت بها.

Scanned by CamScanner

وهذا الكلام ليس له سند تاريخى..

وقد أوضح ابن عساكر فى تاريخه أن السيدة سكينة بنت الحسين لم تدفن فى دمشق أيضًا.

وقد تحدث على مبارك فى كتاب الخطط التوفيقية عن قبر السيدة سكينة فى مصر فقال: شهد السيدة سكينة لها شارع يقال له شارع السيدة سكينة أو شارع الخليفة أوله من باب الحُصر وينتهى إلى تكية السيدة رقية، وبوسط شارع الخليفة المذكور الجامع المعروف بمشهد السيدة سكينة الذى حدده الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٣هـ ثم أجرى فيه عباس باشا عمارة خليله، وهو من الجوامع الشهيرة، وبه ضريح السيدة سكينة يقصده بالزيارة، وتعمل به حضرة كل ليلة خميس ومولد كل عام.

والذى ادعى وجود قبر السيدة سكينة بنت الحسين وضريحها هو الشعرانى ولا يعتمد على دليل.

وأكد ابن عساكر أن سكينة بنت الحسين قد ماتت فى المدينة المنورة وأكد ذلك أيضًا خليفة بن خياط فى تاريخه أنها توفيت بالمدينة عام ١١٧هـ.

والسبب فى اعتقاد البعض أن السيدة سكينة دفنت بمصر هو زواج والى مصر الأصبغ بن عبد العزيز الأموى منها وأنها أقامت بمصر لذلك، والصحيح أن الأصبغ بن عبد العزيز أرسل إلى أخيه عمر بن عبد العزيز والى المدينة أن يزوجه سكينة بنت الحسين،

فزوجه إياها وبنى لها مدينة تسمى الأصبغ لإقامتها، فبعث إليه الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان يريد أن يتزوجها قبل ذلك فرفضت، وكتب إليه يقول: اختر مصر أو سكينة، فطلقها الأصبغ وأرسل إليها بطلاقها ولم تحضر إلى مصر، ومتعها بعشرين ألف دينار ثم إن سكينة لم تتزوج بعد زيد بن عمرو وأقامت بالمدينة المنورة مع أهلها وذويها حتى ماتت ودفنت هناك(١).

وقد انتهى على مبارك فى كتابه الخطط التوفيقية إلى أن قول الأكثرين من المؤرخين والعلماء هو أن سكينة بنت الحسين توفيت بالمدينة وأن احتمال نقلها إلى مصر احتمال بعيد.

السيدة سكينة وأخبارها مع الشعراء:

من العجيب أن البعض قد شوه صورة السيدة سكينة بحكاياتها مع الشعراء والأدباء ومنهم صاحب كتاب الأغانى.. حتى قالوا أنها كانت تجالس الشعراء والأدباء وتهوى الغناء والطرب حتى قال أحدهم عنها: والسيدة سكينة بنت الطبيعة قبل أن تكون بنت الحسين(٢).

---

(١) أعلام النساء.. ومن العجيب أنهم قالوا أن السيدة سكينة حين تزوجها الأصبغ جاءت إلى مصر، فلما وصلت إلى أبوابها مات الأصبغ، ثم ماتت هى بعده، وتلك قصة ملفقة لأن الأصبغ مات فى حياة أبيه عبد العزيز بن مروان ودفن بالإسكندرية وهو شاب.

(٢) ذكر ذلك د. زكى مبارك.

Scanned by CamScanner

وقال أحد المستشرقين «جان كلودفاديه» أنه يستبعد أن تكون السيدة سكينة ممن تضع الحجاب ويؤكد أنها رفضت الحجاب!!

إن مثل هذه الأخبار الكاذبة المدسوسة والتى جاءت فى كتب البعض ما هو إلا إساءة إلى سيرة تلك السيدة الفاضلة من سيدات أهل البيت وإحدى بنات الصحابة.

رضى الله عن السيدة سكينة بنت الحسين.

وصلى الله على سيدنا محمد -ﷺ-.

١٣

أسماء بنت يزيد بن السكن

- رضي الله عنها -

خطيبة النساء
راوية للحديث النبوى
ذات فصاحة وحسن بيان
وسحر بلاغة

Scanned by CamScanner

[١٣] أسماء بنت يزيد بن السكن - رضي الله عنها -

أبوها الصاحبى يزيد بن السكن بن رافع الأنصارى من بنى الأشهل الأوسى.

يقرأ فى صفحات هذا الصاحبى الجليل سطور سجلها التاريخ من نور، فقد وهبت الأسرة حياتها للدفاع عن رسول الإسلام - ﷺ - فى ساعة العسرة يوم أُحد، حين حاول الكفار قتل النبى - ﷺ - واستمات المسلمون فى الدفاع عنه ومنهم آل السكن.

فقد روى مسلم عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - أفرد يوم أُحد سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال:

«من يردهم عنَّا وله الجنة؟ أوهو رفيقى فى الجنة؟».

وتقدم الأنصار فقاتلوا حتى قتلوا، ثم رهقوه فقال النبى - ﷺ -: **«من يردهم عنا وله الجنة أوهو رفيقى فى الجنة؟»**.

فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل.

فلم يزل كذلك حتى قُتل سبعة فقال رسول الله - ﷺ -: **«ما أنصفنا أصحابنا»**.

ومن هؤلاء السبعة وآخرهم هو زياد بن السكن عم أسماء الذى

Scanned by CamScanner

أثخنتـه الجراح، وقال الـرسول -ﷺ-: «ادنوه منى» فوسـده قدمـه فمات شهيداً وخده على قدم رسول الله -ﷺ-.

واستشـهد فى تلك المعركة أبوها يزيد بن السكن وأخـوها عامر ابن يزيد بن السكن الذى جـعل جسده ترسًـا يدافع به عن رسول الله -ﷺ- فنال الشهادة فى سبيل الله.

أم أسماء هى: أم سعد بنت خزيم بن مسعود بن قلع بن حريش ابن عبد الأشهل.

تُلقب أسماء وتكنى بأم عامر الأشهلية. وأم سلمة.

أسماء صاحبة الفصاحة:

اشتهـرت أسماء بنت يزيد بالفصـاحة والبيان والبلاغـة وسميت بخطيبة النساء، ورسول النساء إلى رسول الله -ﷺ-، ونستمع سويًّا إلى مقـالتهـا فى حضـرة النبى -ﷺ- وهو فى جمع من الصـحابة الكرام، والحديث يرويه مـسلم بن عبيـد أنها أتت النبى -ﷺ- وهو بين أصحابه الكرام -رضي الله عنهم جميعًا-، فقالت:

- بأبى وأمى أنت يا رسـول الله، أنا وافدة النسـاء إليك، وإنى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين، كُلُّهن يَقُلن بقولى وعلى مثل رأيى:

إن الله تعـالى بعـثك إلى الرجـال والنسـاء كـافَّـة، فـآمنا بك واتبعناك، وإنا معـشر النساء مقـصورات مخدَّرات، قواعـد البيوت،

ومواضع شهـوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإنَّ معـاشر الرجال فُضِّلوا علينا بالجُـمع والجماعـات، وعيادة المرضى، وشـهود الجنائز، والجهاد فى سبيل الله، وإذا خرجـوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم، وغزلنا أثوابهم، وربينا أولادهم، أفنشاركـهم فى هذا الأجر يا رسول الله.

فالتـفت رسول الله -ﷺ- بوجهه إلى أصـحابه ثم قال: «**هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟**».

فقالوا: بلى والله يا رسول الله، ما ظَنَنَّا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا.

فالتـفت رسول الله -ﷺ- إليهـا فقال: «**انصرفى يا أسـماء، واعلمى من وراءك من النساء أن حُسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته، يعدلُ كل ما ذكرت للرجال**».

وانصرفت أسماء وهى تهـلل وتكبر اسـتبشارًا بما قال رسول الله -ﷺ-(١).

بهذه الكلمات المضيئة دخلت أسماء بنت يزيد بن السكن التاريخ الإسلامى.

وقبل ذلك كانت أسمـاء من المبايعات الأول لرسول الله -ﷺ- مع أختها حواء بنت يزيد.

---

(١) أعلام النساء، أسد الغابة، الدر المنثور للسيوطى والسيرة الحلبية.

Scanned by CamScanner

وكانت أسماء تفخر بأنها أول من بايع من النساء رسول الله -ﷺ- ومعها أختها حواء.

وحيث جاءت أسماء لمبايعة النبى -ﷺ- ودنت منه وعليها سواران من ذهب، وبصر الرسول -ﷺ- بريق الذهب قال لها: **«ألقى السوارين يا أسماء، أما تخافين أن يسورك الله بأساور من نار؟»**.

قالت أسماء: فألقيتهما فما أدرى من أخذهما؟[(١)].

تزوجت أسماء بأحد الصحابة الكرام من الأنصار هو أبو سعيد الأنصارى، قال ابن حجر اسمه سعيد بن عمارة ويقال: عمارة بن سعيد.

روايتها للحديث:

روت أسماء بنت يزيد عن رسول الله -ﷺ- واحدًا وثمانين حديثًا.. واستفادت من التربية النبوية، ومن أشهر تلك الأحاديث ما رواه ابن عساكر عن شهر بن حوشب أن أسماء بنت يزيد قالت: أن رسول الله -ﷺ- خرج والنساء فى جانب المسجد، وأنا فيهنَّ، فسمع ضوضاءهن. فقال: **«يا معشر النساء، أنتن أكثر حطب جهنم»**.

قالت: فناديت رسول الله -ﷺ-، وكنت جريئة على كلامه،

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم الأصبهانى.

فقلت: يا رسول الله! بماذا؟ قال: **«إنكن إذا أعطيتن لم تشكرن، وإذا ابتليتن لم تصبرن، وإذا أمسك عنكنَّ شكوتنَّ، وإياكنَّ وكفر المنعمين»**.

فقلت: يا رسول الله، وما المنعمون؟

قال: **«المرأة تكون تحت الرجل قد ولدت الولدين والثلاثة، فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط»**[(١)].

وفى رواية البخارى تقول أسماء: مرَّ بى رسول الله -ﷺ-، وأنا فى جوار أتراب لى - فسلم علينا وقال: **«إياكن وكفران المنعمين، إياكنَّ وكفران المنعمين»**.. وكنت من أجرئهن على مسألته، فقلت: يا رسول الله، وما كفران المنعمين؟. قال: **«لعل إحداكنَّ تطول أيمتها بين أبويها، ثم يرزقها الله زوجًا، ويرزقها منه ولدًا، فتغضبُ فتكفرُ فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط»**.

لقد كانت أسماء -رضي الله عنها- من ذوات العقل والتفقه فى الدين بل ولم يمنعها الحياء عن السؤال فى أدق المسائل الدينية للنساء فكانت نعم نساء الأنصار كما قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها-: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه».

وجاء فى صحيح البخارى ومسلم أن أسماء بنت يزيد سألت رسول الله -ﷺ- عن غسل المحيض.. فقال: **«تأخذ إحداكن ماء وسدرتها -ورق شجر النبق- فتطهر بها فتحسن الطهور، ثم تصب**

(١) ابن عساكر «تاريخ مدينة دمشق».

Scanned by CamScanner

على رأسها فتدلكها دلكًا شديدًا حتى يبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة -قطعة قطن- ممسكة -عليها المسك- فتطهَّر بها».

فقالت أسماء: فكيف أتطهَّرُ بها؟

فقال: **«سبحان الله تطهَّرى بها»**.

قالت عائشة: تتبعين بها آثار الدم.

هكذا كان حرصها على العلم والتعلم والتفقه فى أمور الدين.

ومما روته أسماء أيضًا عن رسول الله -ﷺ- قالت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: **«إن الله يغفر الذنوب جميعًا ولا يبالى»**(١).

وقوله: **«ألا يرقأ دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك** -يقصد سعد ابن معاذ- **أول من ضحك الله له واهتز له العرش»**(٢).

أسماء وعائشة ليلة عرسها:

تُعرف أسماء بلقب بأسماء عائشة أو أسماء مُقينة عائشة -أى التى زينت عائشة- لأنها كانت لها دراية بزينة النساء، ولذلك فإنها قد زينت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر -رضي الله عنها- يوم زفافها على رسول الله -ﷺ-.

---
(١) أخرجه الترمذى.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبى.

وتحكى أسماء ما حدث يوم عرس عائشة -رضي الله عنها- فتقول:

إنى قينت عائشة -رضي الله عنها- لرسول الله -ﷺ- ثم جئته فدعوته لجلوتها، فجاء فجلس إلى ما بها فأتى بعس لبن -قدح- فشرب، ثم ناولها النبى -ﷺ- فخفَضَت رأسها واستحيت.

قالت أسماء فانتهرتها، وقلت لها: خذى من يد النبى -ﷺ-.

قالت: فأخذت فشربت شيئًا، ثم قال لها النبى -ﷺ-: **«أعطى تربك» «أصحابك»** قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله، بل آخذه فأشرب منه، ثم ناولنيه من يدك، فآخذه فأشرب منه ثم ناولنيه.

قالت: فجلست ثم وضعته على ركبتى، ثم طفقت أديرُه، وأتبعه بشفتى لأصيب منه مشرب النبى -ﷺ-.

ثم قال لنسوة عندى: **«ناوليهن»**.

فقلن: لا نشتهيه.

فقال النبى -ﷺ-: **«لا تجمعن جوعًا وكذبًا»**(١).

إكرامها لرسول الله -ﷺ-:

من مظاهر حبها لرسول الله -ﷺ- وإكرامها له تقول أسماء:

- رأيت رسول الله -ﷺ- صلى فى مسجدنا المغرب، فجئت بعرق -لحم- وأرغفة، فقلت:

---
(١) أخرجه أحمد فى مسنده.

Scanned by CamScanner

- بأبى وأمى تعش.

فقال -ﷺ-: «**كلوا باسم الله**».

فأكل هو وأصحابه الذين جاءوا معه، ومن كان حاضرًا من أهل الدار، فوالذى نفسى بيده لرأيت العرق لم يتعرقه، وعامَّة الخبز، وإن أربعين رجلاً، ثم شرب من ماء عندى فى شجب -قربة- ثم انصرف، فأخذت ذلك الشجب، فدهنته وطويته، فكنا نسقى منه المريض، ونشرب منه فى الحين رجاء البركة[١].

وكان -ﷺ- يزور أسماء وفى بيتها وذكر أخبار من الدجال عندها وذلك كما أخرج أحمد فى مسنده عن عائشة قالت: كان رسول الله -ﷺ- فى بيتى فذكر الدجال..».

نزول آية العدة فى أسماء:

مما يُذكر لأسماء بنت يزيد أنها طلقت ولم تكن للنساء عدة فأنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾[٢].

أسماء والقرآن:

وكذلك أيضًا كان لها السبق فى رواية أحاديث نادرة هامة حول

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات وصاحب تاريخ دمشق وغيرهما.
(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.

فضل بعض آيات وسور القرآن، قالت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول فى هاتين الآيتين: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...**﴾[١] و﴿**الم ① اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[٢]. أن فيهما اسم الله الأعظم[٣].

وقالت أيضًا: إنى لآخذه بزمام العضباء ناقة رسول الله -ﷺ- إذ أُنزلت عليه المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق بعض الناقة[٤].

وروت أيضًا أنها سمعت رسول الله -ﷺ- يقرأ: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٥].

جهادها فى سبيل الله:

شهدت أسماء بنت يزيد مشاهد من غزوات الرسول -ﷺ-.

ففى غزوة الخندق أخرجت طعامًا للمجاهدين فطرح الله فيه البركة، وكانت من الذين بايعوا رسول الله -ﷺ- تحت الشجرة بيعة الرضوان، وكانت لها البشارة بالجنة: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»[٦].

وكانت مشاركة فى غزوة خيبر تعالج جرحى المسلمين.

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٢) سورة آل عمر: ١، ٢.
(٣) أخرجه أحمد فى مسنده.
(٤) أخرجه أحمد فى مسنده.
(٥) سورة الزمر: ٥٣.
(٦) أخرجه أحمد فى مسنده.

Scanned by CamScanner

وبعد وفاة الرسول -ﷺ-، شاركت فى معركة اليرموك فى الشام، وقاتلت حين اشتد القتال بين الفريقين، وكانت تشارك مع النساء فى ضرب من يفر من المعركة من جنود الإسلام، واقتلعت عمود الخيمة وراحت تضرب به رءوس الروم حتى قتلت يومها تسعة من جنود الروم(١).

وفاتها:

استقر بها المقام فى الشام وطاب لها العيش هناك، وأخذت تعلم النساء الإسلام وتروى الأحاديث التى حفظتها من رسول الله -ﷺ-.

وعاشت حتى خلافة عبد الملك بن مروان وماتت عام ٦٩هـ فكانت من المعمرات من بنات الصحابة ودفنت بدمشق بباب الصغير -رضي الله عنها-(٢).

(١)، (٢) البداية والنهاية لابن كثير بتصرف.

١٤

أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص

-رضي الله عنهما-

- أبوها خالد بن سعيد بن العاص
- أعمامها.. إبان وعمرو وسعيد شهداء
- أمها صاحبية هاجرت مع زوجها إلى الحبشة
- زوجها الصحابى الجليل الزبير بن العوام حوارى رسول الله -ﷺ- وأحد العشرة المبشرين بالجنة -رضي الله عنه-

Scanned by CamScanner

[١٤] أمة بنت خالد - رضي الله عنها -

إنها صحابية بنت صاحبى.. وابنة صاحبية.. ولدت فى الإسلام.. فأبصرت فجر الإسلام الأول..

أسلم أبوها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى قديمًا بمكة فكان خامس من أسلم، وأسلمت معه زوجته أمينة وقيل أميمة بنت خلف بن أسعد بن عامر الخزاعية.

قصة إسلام الأب:

لم يكن إسلام الأب خالد بن سعيد وليد صدفة، أو هوىً متبع، لقد كان الإسلام فى بدايته مضطهدًا من قريش ورجالتها الأشداء ومنهم أبو خالد سعيد بن العاص الملقب بأبى أحيحة فقد وقف سعيد بن العاص موقفًا معاديًا لدعوة رسول الله -ﷺ- فقد كان سيد قومه ومن أغنى أغنياء مكة.

وسمع خالد بن سعيد عن دعوة رسول الله -ﷺ-، وأخذ يفكر فيما سمعه، وذات ليلة رأى فيما يرى النائم أنه على شفير من النار لا حدود لها، ويرى أباه يدفعه إليها، ولكنه ما لبث أن وجد رجلاً يأخذ به وينقذه من الوقوع فى تلك النار..

Scanned by CamScanner

وكان هذا الرجل المنقذ له هو محمد -ﷺ- الذى يدعو إلى الدين الجديد، ويحاربه قومه وعلى رأسهم أبوه.

ويستيقظ خالد من نومه فزعًا.. ويتساءل ما هذا الذى رأى فى منامه.. هل هى أضغاث أحلام.. أم رؤيا حق.. ويذهب خالد إلى أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- فقد كان معبرًا للرؤيا ذا حكمة وفراسة.. وأخبر بما رأى فى مناه..

فقال له أبو بكر مستبشرًا:

- أريد بك خيرًا.. هذا رسول الله -ﷺ-.. فاتبعه، فإنك ستتبعه وتدخل معه فى الإسلام والذى يحجزك من أن تقع فى النار، وأبوك واقع فيها.

ويأتى خالد رسول الله -ﷺ- ويسأله:

- يا محمد إلاَمَ تدعو؟

ويجيبه رسول الله -ﷺ-:

- **«إلى الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا يبصر، لا يضر ولا ينفع ولا يدرى من عبده ممن لم يعبده»**.

فقال خالد من فوره:

- فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

فكان خالد أول من أسلم من أولاد سعيد بن العاص وهم:

خالد وعبد الله وعمرو وسعيد، وكلهم نالوا الشهادة فى سبيل الله.. ومات أبوهم على الكفر فكان ما رآه خالد فى منامه حقًّا.

وعلم الأب سعيد بن العاص نبأ إسلام ابنه خالد فغضب لذلك.. وهجم عليه وضربه بمقرعة فى يده شج بها رأسه.. وانهمر الدم من رأس خالد دون أن يتألم أو يتحرك وسأله أبوه:

- اتبعت محمدًا وأنت ترى خلافه لقومه.. وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم.

قال خالد له:

- فقد صدق والله واتبعته.

فهدده وتوعد: اذهب يا لكع حيث شئت فوالله لأمنعنك القوت.

فقال له خالد باطمئنان المؤمن:

- إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به.

وقاطعه أبوه وإخوته.. فما هاله من ذلك شيء.

وذهب إلى رسول الله ورافقه حيث يسير.. وقد علم أبوه أن ابنه لا يعبأ بحرمانه من ثروته وماله.

فطلب من أولاده أن يمسكوا به.. فأمسكوه وحبسه فى البيت

(١) أعلام النساء، أسد الغابة، الدر المنثور للسيوطى والسيرة الحلبية.

Scanned by CamScanner

ومنع عنه الطعام والشراب.. فلم يعبأ لذلك، واستطاع الهرب من حبسه.

ثم أذن له رسول الله -ﷺ- فى الهجرة مع زوجته إلى الحبشة مع المهاجرين الأوائل إليها وظل بها قرابة العشرين عامًا، ولحق به أخوه عمرو بن سعيد بعد إسلامه.

وذكر ابن إسحاق فى سيرته أن المهاجرين إلى الحبشة كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة امرأة، وأكثرهم قرشيون من أشراف بطون قريش.

وظل خالد بن سعيد بالحبشة حتى عام فتح خيبر فى السابع من الهجرة، فعاد إلى المدينة مع المهاجرين وكان أخوته قد أسلموا ومات أبوه على الشرك، وعاش خالد مع رسول الله -ﷺ- كاتبًا للوحى، وبعثه النبى -ﷺ- أميرًا على بلاد اليمن، ثم بعد وفاة النبى -ﷺ- ظل على عهده يجاهد فى سبيل الله مع جيوش المسلمين فى خلافة أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- ونال الشهادة فى حرب المسلمين ضد الروم فى موقعة مرج الأصغر.. فكان ثالث من استشهد من أبناء سعيد بن العاص أحد صناديد الكفر فى قريش(١).

ميلاد أمة فى الحبشة:

«روت أمة بنت خالد وكنيتها أم خالد قالت: كان أبى خامسًا

(١) سير أعلام النبلاء بتصرف، وذكر الذهبى أنه قتل هو أخوه أبان بن سعيد يوم أجنادين على الصحيح، وقال الذى قتله بعد أن أسلم: من هذا الرجل؟ فإنى رأيت نورًا له ساطعًا إلى السماء!!

فى الإسلام وهاجر إلى أرض الحبشة، وأقام بها بضع عشرة سنة وولدت أنا بها»(١).

وقالت أيضًا: أبى أول من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم».

ولدت أمةُ بنت خالد بالحبشة بعد هجرة أبويها إليها، فكانت من أبناء الصحابة الذين ولدوا على الفطرة لم يعبدوا صنمًا ولا حجرًا ونشأوا على عبادة الله الواحد الأحد، وكان أخوها سعيد بن خالد قد ولد أيضًا بالحبشة.

ومن أبناء الصحابة الذين ولدوا بالحبشة وأبصروا نور الإسلام: عبد الله ومحمد وعون أبناء جعفر بن أبى طالب وعبد الله بن المطلب ابن أزهر وموسى بن المطلب ومحمد والحارث ابنا حاطب بن الحارث، ومن البنات: زينب بنت أبى سلمة، وعائشة وزينب وفاطمة بنات الحارث بن خالد بن صخر.

وتربت أمةُ بنت خالد بين أبوين كريمين تعلمت منهما دين الإسلام وحب رسول الإسلام -ﷺ-، وعاشت الابنة البارة مع أبويها أكثر من عشر سنوات فى دار الهجرة بالحبشة حتى أرسل إليهم رسول الله -ﷺ- بعد هجرته للمدينة الصحابى عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة كى يرسل المسلمين المهاجرين عنده إلى المدينة المنورة، وبالفعل أرسلهم النجاشى فى سفينتين إلى

(١) طبقات ابن سعد، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر والذهبى فى سير أعلام النبلاء.

Scanned by CamScanner

رسول الله -ﷺ-، وأوصاهم بإبلاغه السلام والتحية للرسول -ﷺ-.

وكان وقت وصولهم إلى المدينة أن الرسول -ﷺ- فى غزوة خيبر وقد فرغ من فتحها سنة سبع من الهجرة، ففرح بهم كما فرح بنصر الله له على يهود خيبر وفتح حصونهم، فأعطاهم أسهمًا من الغنائم.

وانتقلت أمةُ بنت خالد والتى لقبت بكنيتها أم خالد نسبة إلى ولدها خالد -كى تعيش فى المدينة المنورة وتشاهد وتسمع وترى الأحداث الهامة فى الإسلام وتسعد بأن تكون إحدى الصاحبيات المؤمنات اللاتى شاهدن رسول الله -ﷺ- وسمعن منه.

وأكثر من ذلك نالت «أمةُ» أم خالد شرف الدعاء من رسول الله -ﷺ- حين أهداها خميصة سوداء -ثوب- ودعا لها.. فتقول أم خالد -أمةُ بنت خالد- صاحبة السيرة العطرة..

قالت: أتى رسول الله -ﷺ- ثياب فيها خميصة سوداء، فقال: **«من ترون نكسو هذه الخميصة»**.

فأسكت القوم.

فقال -ﷺ-: **«ائتونى بأم خالد»**.

فأتى بى إلى النبى -ﷺ-.. فألبسنيها بيده وقال: **«أبلى وأخلقى..»** ثلاث مرات(١).

---

(١) رواه البخارى.

وهذا الدعاء يقصد به طول العمر.. فكانت «أمةُ» أم خالد من المعمرات فعاشت حتى بلغت التسعين من عمرها.

وروت أم خالد عن رسول الله -ﷺ- سبعة أحاديث، روى لها البخارى فى صحيحه اثنين من مروياتها فى البخارى عن موسى بن عقبة قال: سمعت أم خالد بنت خالد وقال: لم أسمع أحدًا سمع النبى -ﷺ- غيرها - قالت: «سمعت النبى -ﷺ- يتعوذ من عذاب القبر».

زواجها ومكارمها:

تزوجت -رضى الله عنها- بأحد الصحابة الكرام العظام أحد المبشرين بالجنة من رسول الله -ﷺ- وحواريه وهو الزبير بن العوام وأنجبت له عمر وخالدًا، وكانت تكنى بأم خالد.

وقد تزوج الزبير بن العوام غيرها فقد تزوج قبلها أسماء بنت أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- وعاتكة بنت زيد، وأم مصعب الكلبية.

وقد حدثت أم خالد -أمةُ بنت خالد- عن أبيها فقالت:

كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائمًا قبل مبعث رسول الله -ﷺ- فقال: رأيتُ كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصرُ امرؤ كفه فبينما هو كذلك، إذ خرج نور من زمزم ثم علاَ حتى السماء، فأضاء البيت، ثم أصاب مكة كلها، ثم تحول إلى يثرب فأصابها حتى أنى أنظر إلى البُسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على أخى عمرو بن سعيد وكان جزل الرأى، فقال:

Scanned by CamScanner

- يا أخى إن هذا الأمر يكون فى بنى عبد المطلب ألا ترى أنه خرج من حضر أبيهم؟

وقد ذكر ذلك لرسول الله -ﷺ- بعد بعثه فقال:

- **«يا خالد، أنا والله ذلك النور، وأنا رسول الله»**. . وقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد -رضوان الله عليه-(١).

فكان إسلام خالد بن سعيد كما قلنا ليس وليد الصدفة وإنما هو عن يقين واقتناع ورؤية رآها قبل البعثة وأخرى رآها بعد البعثة وقد ذكرناها من قبل، عندما تحدثنا عن إسلامه(٢).

وفاتها:

كانت أمةُ بنت خالد من الصاحبيات المعمرات، وقد نالتها دعوة رسول الله -ﷺ- بطول العمر حين قال لها:

- **«أبلى وأخلقى»** فقال البخارى راوى الحديث: لم تعش امرأة مثلما عاشت هذه».

وعاشت أم خالد دهرًا من الزمان حتى أدركها موسى بن عقبة وقاربت التسعين، وقال الذهبى: وأظنها آخر الصاحبيات وفاة وبقيت إلى أيام سهل بن سعد -رضي الله عنه- وهو آخر الصحابة وفاة وقد عاش مائة عام وتوفى عام ٩١هـ.

-رضي الله عنها- الصاحبية أم خالد أمة بنت خالد بن سعيد.

---

(١) ذكره صاحب السيرة الحلبية.

(٢) لمن أراد المزيد فليراجع كتابنا «شهداء الصحابة». الناشر: المكتبة التوفيقية بالأزهر.

١٥

الرُّبيع بنت معوذ بن الحارث

-رضي الله عنها-

- أبوها: قتل أبا جهل يوم بدر ومات شهيداً.
- جدتها: عفراء بنت عبيد لها سبعة أبناء كلهم صحابة شهدوا غزوة بدر الكبرى.
- شهدت بيعة الرضوان فكانت من المبشرات بالجنة.

[١٥] الرُّبيع بنت معوذ بن الحارث - رضي الله عنها -

أبوها شهيد يوم بدر:

الأب.. معـوذ بن الحارث بن رفـاعة واشتـهر بابن عـفراء هو وأخواه معـاذ بن الحارث وعوف بن الحارث وله أخـوة أربعة آخرون كلهـم شهـدوا غزوة بـدر الكبـرى وهم من بنـى النجـار أنصار رسول الله -ﷺ- وأخواله.

وأمهم عـفراء بنت عبـيد بن ثعلبـة بن عبيـد من بنى النجار.. صاحبية.

شهـد معوذ بن الحارث بـيعة العقـبة مع السبـعين من الأنصار، وشهد غزوة بدر الكبرى واشترك مع أخـيه عوف حتى قتل أبا جهل، فقـد ضرباه وأثخناه ولكنه اسـتطاع أن يقتلهمـا ثم وقع صريعًـا حتى جاءه الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود فأجهزه عليه وجز رأسه.

اشتهـر عوف ومعاذ ومُـعوذ أولاد الحارث بن رفاعـة الأنصارى النجارى بأمهم فيقال لهم: أبناء عفراء.

ولهم أربعة أخـوة آخرون من الأم هم: إياس، عـاقل، خالد، عامـر وهم أولاد البكيـر بن عبـد ياليل الليثى وأمـهم عفـراء وكلهم شهدوا بدرًا الكبرى.

Scanned by CamScanner

وللصاحبية عفراء بنت عبيد خصيصة لا توجد لغيرها كما قال ابن الجوزى وابن حجر أنها أنجبت سبعة أولاد اشتركوا فى غزوة بدر الكبرى مع رسول الله -ﷺ-، قتل اثنان منهما عدو الله أبا جهل وماتا شهيدين يومها.. فاستحقت الحفاوة والتكريم فى تاريخنا الإسلامى.

وعن استشهاد ابنى عفراء يروى البخارى فى صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- قال:

إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن بمكانهما، إذ قال لى أحدهما سراً من صاحبه:

«يا عم أرنى أبا جهل».

فقلت: يا ابن أخى، ما تصنع به؟

قال: «عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه».

وقال الآخر لى سراً من صاحبه مثله.

قال: فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه، فشدا مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء.

ويكمل أنس بن مالك القصة فيقول:

قال رسول الله -ﷺ-:

«من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟»

قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله.

فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: فأخذ بلحيته. قال: فقلت: أبو جهل؟ فقال: وهل فوقه رجل قتلتموه!

ثم أجهز عليه ابن مسعود وفصل رأسه وأتى بها إلى النبى -ﷺ- قال:

- **«الله الذى لا إله إلا هو» ثلاثاً.. الحمد لله الذى أخزاك يا عدو الله.. هذا كان فرعون هذه الأمة».**

ووقف رسول الله -ﷺ- على مصرع ابنى عفراء فقال: **«رحم الله ابنى عفراء فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس الكفر».**

فقيل يا رسول الله: ومن قتله معهما؟

قال: **«الملائكة وابن مسعود قد شرك فى قتله»**(١).

سبحان الله العظيم..

لقد كان عدو الله أبو جهل شديد البنيان رغم كبر سنه فى غزوة بدر الكبرى فلم يستطع ابنا عفراء وكانا حديثى السن حين قتلاه فشارك معهما الملائكة، حتى أجهز عليه ابن مسعود وهو فى الرمق الأخير.. ورغم ذلك فقد استطاع هذا الصنديد من قتل ابنا عفراء قبل مصرعه.. فنالا الشهادة ونال هو جزاءه خالداً مخلداً فى نار جهنم والعياذ بالله.

(١) رواه البيهقى وابن كثير فى البداية والنهاية.

Scanned by CamScanner

وأم الرُّبيع بنت معوذ هى أم يزيد بنت قيس بن زعوراء وأختاها هما: فريقة بنت معوذ، وعميرة بنت معوذ.

إكرام النبى -ﷺ- لها:

أسلمت الرُّبيع بنت معوذ قبل هجرة الرسول -ﷺ- إلى المدينة وكانت صغيرة السن قد شبت عن الطوق.

فقد كان أبوها وأعمامها من كبار الصحابة والسابقين إلى الإسلام.

وتروى الرُّبيع بنت معوذ أن أباها أرسلها بصاع من رطب عليه أَجْر من قثاء زُغب إلى رسول الله -ﷺ-، وكان -ﷺ- يحب القثاء، وكان حلية قد قدمت من البحرين فملأ يده منها فأعطانيها ملء كفى حليًا أو ذهبًا.

وقال لها: تحلى بهذا(١).

وكان التكريم الأكبر لها حين تزوجت بعد غزوة بدر الكبرى، فحضر حفل عرسها رسول الله -ﷺ-، كما جاء فى كتب السيرة والسنن عند البخارى وغيره..

وهى تروى تلك الواقعة الشهيرة ذات الأثر والفخر فى حياتها:

جاءنا رسول الله -ﷺ-، فدخل علىَّ غداة بُنى بى -صباح

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمى وأحمد فى المسند.

الدخول بها- فجلس على فراشى، وجويريات لنا يضربن بالدفوف، ويندبن من قتل من آبائى يوم بدر، إلى أن قالت: إحداهن: وفينا نبى يعلم ما فى غد، فقال لها رسول الله -ﷺ-: **«دعى هذا وقولى التى كنت تقولين قبلها»**.

وقال الذهبى فى السير: وقد زارها النبى -ﷺ- صبيحة عرسها صلة لرحمها.

فكان تكريم النبى-ﷺ- تكريمًا لأسرتها كلها، وفضلهم وسبقهم فى الإسلام.

وأكثر من ذلك فقد كان -ﷺ- قد أضفى عليه شرفًا بزيارة أخرى فيتوضأ عندها فى بيتها ويقول لها: **«اسكبى لى وضوءًا»**. فيكون لها السبق والشرف أن تصف للمسلمين وضوء النبى -ﷺ-(١).

جهادها فى سبيل الله:

لقد تابعت خطى أبيها شهيد بدر الكبرى فى الجهاد، فكانت تخرج مع النبى -ﷺ- كى تشارك بنصيب وافر فى الجهاد فتداوى الجرحى وتسقى الجنود، فقالت: كنا نغزو مع النبى -ﷺ- فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه بسنده حديث الضوء أنه توضأ ثلاثًا.

(٢) البخارى فى صحيحه.

Scanned by CamScanner

وشهدت -رضي الله عنها- بيعة الرضوان وبايعت تحت الشجرة، مع تلك المجموعة المؤمنة التى بشرها الرسول -ﷺ- فقال: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»[(١)].

روايتها للحديث النبوى:

ونضيف إلى سجلها الحافل أنها كانت من رواة الحديث النبوى فقد روت عن رسول الله -ﷺ- إحدى وعشرين حديثًا.

فقد روى لها البخارى ومسلم وغيرهما وروى عنها عدد من الصحابة والتابعين، حتى أن ابن عباس -رضي الله عنهما- أتاها فسألها عن وضوء رسول الله -ﷺ-، وأتاها ابن عمر -رضي الله عنهما- يسأل عن قضاء عثمان بن عفان -رضي الله عنه- حين اختلعت من زوجها[(٢)].

وعن شجاعتها تروى كتب السيرة قصتها مع أم أبى جهل فتقول الرُّبيع: دخلت فى نسوة من الأنصار على أسماء بنت مخرّبة أمِّ أبى جهل فى زمن عمر بن الخطاب، وكان ابنها عبد الله بن أبى ربيعة -أخو أبى جهل لأمه- يبعث لها بعطر من اليمن، وكانت تبيعه، فكنا نشترى منها، فلما جعلت لى فى قواريرى، ووزنت لى كما وزنت لصواحبى، قالت: اكتبن عليكن حقى.

فقلت: نعم اكتب لها على الربيع بنت معوذ.

(١) رواه مسلم.
(٢) الطبقات لابن سعد وزاد المعاد لابن القيم.

فقالت: حلقى[(١)].. وإنك لابنة قاتل سيده.

قلت: لا ولكنى ابنة قاتل عبده.

قالت: والله، لا أبيعك شيئًا أبدًا.

فقلت: وأنا والله لا أشترى منك شيئًا أبدًا، فوالله ما هو بطيب ولا عرف[(٢)].

اختلاعها من زوجها:

روى النسائى عن الربيع بنت معوذ أن ثابت بن قيس بن شماس ضرب امرأته فكسر يدها، وهى جميلة بنت عبد الله بن أُبى، فأتى أخوها يشتكيه إلى رسول الله -ﷺ- فأرسل إليه، فقال: خذ الذى لها عليك وخل سبيلها.

قال: نعم.

فأمرها رسول الله أن تتربص حيضة واحدة، وتلحق بأهلها[(٣)].

وفى عام ٣٥هـ فى خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، تروى الرُّبيع فتقول عن نفسها: قلت لزوجى:

- أختلعُ منك بجميع ما أملك.

قال: نعم.

(١)، (٢) ابن سعد فى طبقاته والذهبى فى سير أعلام النبلاء و«حلقى» هو دعاء بالشر.
(٣) رواه أيضًا أبو داود والترمذى.

Scanned by CamScanner

فدفعت إليه كل شىء غير درعى، حتى ضمنى إلى عثمان فقال: له شرطه فدفعته.

وفى رواية قال لها عثمان: الشرط أملك خذ كل شىء لها حتى عقاص رأسها إن شئت[1].

وسألت عثمان -رضي الله عنه- عن العدة لها:

فقال: لا عدة عليك إلا أن يكونَ حديث عهد بك، فتمكثين حتى تحيضى حيضة.

قالت: وإنما تبع فى ذلك قضاء رسول الله -ﷺ-.

وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يسألها عن قضاء عثمان -رضي الله عنه- حينما اختلعت من زوجها.

ويقول ابن عمر: فعثمان خيرنا وأعلمنا.

وفاتها:

عاشت الرُّبيع -رضي الله عنها- ولها مكانتها بين الخلفاء بعد وفاة رسول الله -ﷺ-، وعمرت كثيرًا وتوفيت فى خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين، وقيل أنها توفيت زمن معاوية سنة ٤٥هـ، والصحيح أنها عمرت طويلاً فتكون وفاتها زمن عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين أصح كما أشار إلى ذلك الذهبى فى سير أعلام النبلاء والله أعلم، ورضى الله عنها وأرضاها.

(١) عقاص شعرها: هو الخيط الذى تربط بها المرأة شعرها وأخرجه الطبرانى فى الكبير وابن سعد فى الطبقات.

١٦

سهلة بنت سهيل بن عمرو

- رضي الله عنهما -

- أبوها: خطيب قريش أسلم يوم الفتح.
- هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ثم إلى المدينة.
- خصها النبى -ﷺ- برخصة نبوية.

[١٦] سهيلة بنت سهيل - رضي الله عنها -

فى قراءة سريعة إلى بطاقتها التى سجلها التاريخ الإسلامى لها نجد أن أباها هو سهيل بن عمرو القرشى العامرى. يكنى أبا يزيد.

كان خطيب قريش وفصيحهم، ومن أشرافهم نسبًا، حارب الإسلام فى بدايته ولم يسلم إلا يوم الفتح، ولكن حسن إسلامه، وأكثر من الصلاة والصوم والصدقة، وجاهد مع المسلمين وقيل استشهد يوم اليرموك وقيل أيضًا أنه مات فى طاعون عمواس(١).

اشترك فى حرب المسلمين يوم بدر الكبرى وأسر ثم فدى، وخرج معه ابنه عبد الله بن سهيل يوم بدر يكتم إيمانه، فلما التقى الجمعان تحول إلى المسلمين وقاتل معهم -رضي الله عنه-، واستشهد يوم اليمامة.

ومن فصاحة سهيل بن عمرو أنه حث قريش على الخروج لقتال المسلمين فى غزوة بدر فقال لهم: يالِ غالب! أتاركون أنتم محمداً والصباة يأخذون غيركم؟ من أراد مالاً فهذا مال.. ومن أراد قوة فهذه قوة.. واستحث القوم حتى خرجوا لملاقاة المسلمين، والتقى الجمعان فى بدر وانتصر المسلمون وأسر سهيل بن عمر مع من أسر من قريش.

(١) سير أعلام النبلاء.

يوم خرج الرسول -ﷺ- لأداء العمرة ومنعته قريش فى الحديبية من الوصول إلى البيت الحرام، وتدخل البعض للصلح فكان قدوم سهيل بشرى خير لإتمام الصلح فحين رآه رسول الله -ﷺ- قادمًا عليهم فى شأن الصلح قال: «سَهُل أمركم»..

وكان من شروط الصلح أن يرد رسول الله -ﷺ- من يأتيه مسلمًا من أهل مكة إليهم.. وحضر أمام رسول الله -ﷺ- ابن سهيل بن عمرو الذى حبسه بمكة لإسلامه وهو مكبل بالقيود يريد الانضمام إلى المسلمين، وهو الصحابى أبو جندل العاص بن سهيل ابن عمرو، وأبوه سهيل حاضر بين يدى رسول الله -ﷺ-، فقال: هذا أول من أقاضيك عليه يا محمد.

فقال رسول الله -ﷺ-: «هبه لى».

فأبى سهيل ذلك، فرده رسول الله -ﷺ- له وأبو جندل يصيح ويقول: يا مسلمون.. أُرَد إلى الكفر؟

ثم هرب وهو فى طريقه مع أبيه إلى مكة.. وظل على ساحل البحر يقطع الطريق على قريش وانضم إليه غيره من المسلمين الذين دخلوا الإسلام بعد صلح الحديبية من قريش.

أرسلت قريش إلى الرسول -ﷺ- لإلغاء هذا الشرط من المعاهدة.

هذا هو سهيل قبل إسلامه، وبعد أن أسلم يوم فتح مكة حسن

إسلامه وأبلى بلاء حسنًا فى الإسلام، ودافع عن الإسلام يوم وفاة الرسول -ﷺ- وهو بمكة فخطب فى أهلها كما خطب أبو بكر الصديق فى المسلمين بالمدينة، فسكنهم وعظم الإسلام. -رضي الله عنه-.

أما الزوج.. فإنه الصحابى الجليل أحد السابقين إلى الإسلام بمكة أسلم قبل دخول الرسول -ﷺ- دار الأرقم بن أبى الأرقم -رضي الله عنه-.. إنه أبو حذيفة بن عتبة بن وبيصة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب القرشى العبشمى البدرى -رضي الله عنه-.

هاجر إلى الحبشة مرتين، وولد له بها محمد بن أبى حذيفة، كان طويلاً حسن الوجه، استشهد يوم اليمامة عام ١٢هـ هو ومولاه سالم.

وسهلة بنت سهيل أسلمت مع زوجها فحين ظل على شركه، واشتد بهما أذى صناديد أهل الكفر بمكة، وأشار النبى -ﷺ- على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة حيث أن هناك ملك عادل لا يظلم لديه أحد.

هجرتها -رضي الله عنها-:

وهاجر أبو حذيفة بن عتبة مع امرأته سهلة بنت سهيل إلى الحبشة مع من هاجر من المسلمين أمثال عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وزوجته رقية بنت رسول الله -ﷺ- وغيرهم.

وولدت هناك ابنها محمد بن أبى حذيفة -رضي الله عنه-، وعاشت سهلة فى الحبشة مع زوجها وابنها مطمئنة على نفسه ودينها، ولكن قلبها معلق هناك بالبيت العتيق.

Scanned by CamScanner

وشاع فى أرض الحبشة أن صناديد الكفر فى قريش قد أسلموا لم سمعوا سورة النجم من رسول الله -ﷺ- وسجدوا فى نهاية تلك السورة، مما شجع البعض من المهاجرين بالحبشة إلى العودة إلى أرض الوطن مكة أم القرى.

ولكنهم فور عودتهم إلى مكة اكتشفوا أن قريشًا أشد عداوة للإسلام ونبى الإسلام.

وصبر المسلمون على إيذاء قريش حتى جاء الفرج بالهجرة إلى المدينة المنورة. فهاجر إليه المسلمون فى الخفاء إلا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-(١).

وخرجت سهلة بنت سهيل مع زوجها إلى المدينة المنورة مهاجرين فى سبيل الله، وتركوا كل شيء وراءهم فى بلدهم التى حارب أهلها الإسلام بكل قوة حتى اضطر كل مؤمن فيها أن يهاجر حتى رسول الله -ﷺ-، والأمل يراودهم بالعودة وقد رفعت راية الإسلام عالية وقد كان بإذن الله.

سهلة فى مجتمع المدينة:

عاشت سهلة مع زوجها وابنها فى المدينة المنورة، وقد هاجر إليها رسول الله -ﷺ- والمسلمون المهاجرون من أهل مكة مع

---

(١) روى البخارى فى صحيحه أن النبى -ﷺ- قال لهم: **«أُريتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين»** أى أرض ذات حجارة سوداء والمدينة المنورة كذلك.

إخوانهم من أهل المدينة الذين دخلوا فى دين الله أفواجًا، وقد آخى رسول الله -ﷺ- بينهم فكان المجتمع المسلم الأول فى حياة البشرية، وأصبح للإسلام دولة وجيش يدافع عنه.

وفى العام الثانى من الهجرة.. كانت غزوة بدر الكبرى، يوم مشهود فى تاريخ البشرية كلها، فقد التقى الجمعان.. والتقى الفريقان.. فريق الإيمان بقيادة رسول الله -ﷺ-، وفريق الكفر والصد عن سبيل الله بقيادة أبى جهل..

وارتفعت كلمة الله عالية فى السماء.

الله أكبر..

لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.

لقد أتم الله نوره رغم أنف الكافرين.. فقد انتصر المسلمون رغم قلة عددهم وعدادهم.. وكثر عدد جيش الكفار، وما معهم من الأسلحة والعدة.

فقد جاء جيش الكفر من مكة.. وألقت مكة بأفلاذ أكبادها على أرض بدر كى يلقوا مصرعهم هناك ويفر الباقى ويُأسر البعض منهم ويسحبون بأيدى المسلمين إلى المدينة.

وكان من ضمن الأسرى سهيل بن عمرو والد سهيلة أسره مالك ابن الدخشم الأنصارى الأوسى، وفى الطريق إلى المدينة خدع سهيل ابن عمرو مالك بن الدخشم، وفر هاربًا ولكن مالكًا استنجد

بالمسلمين . . فخرجوا فى طلبه، وأعلن رسول الله «من وجده فليقتله».

وخرج الرسول -ﷺ- ومن معه من الصحابة يبحثون عن سهيل حتى وجدوه قد أخفى نفسه بين شجيرات، فأخذ وربطت يداه إلى عنقه وعادوا به إلى المدينة، مع باقى الأسرى من أهل الشرك.

وعلمت سهيلة بأسر أبيها فلم تعره اهتمامًا، وفرحت بنصر الله مع إخوانها وأخواتها من أهل الإيمان، وعلم زوجها بمصرع والده عتبة ابن ربيعة على يد الصحابى عبيدة بن الحارث الذى نال الشهادة متأثرًا بجراحه فى المعركة.

وحين شاهدت أم المؤمنين سهيل بن عمرو وقد قدم المدينة مع الأسرى وقد جمعت يداه إلى عنقه بحبل، فقالت وقد تأثرت بما وصل إليه أحد أشراف قريش:

«أى أبا يزيد -تقصد سهيل أعطيتم بأيديكم، ألا متم كرامًا؟».

قالت سودة: فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله -ﷺ-:

«يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين؟».

فقالت: والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى إن رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه إن قلت ما قلت».

فقبل رسول الله -ﷺ- اعتذارها بعد أن علم قصدها، وقال لأصحابه:

«استوصوا بالأسرى خيرًا.»(١).

وأشار عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على رسول الله -ﷺ- أن ينزع ثنيته حتى يخرج لسانه فلا يستطيع الخطابة أبدًا فقال: انزع ثنيته حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبًا أبدًا.

ولكن الرسول الكريم -ﷺ- يقول لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:
«لعلّه يقوم مقامًا محمودًا».

وقد تحقق ما قاله رسول الله -ﷺ- يوم فتح مكة فقد أسلم سهيل بن عمرو وحسن إسلامه، ثم تحققت النبوة فيه حيث قام خطيبًا فى قريش يوم وفاة الرسول -ﷺ- حيث أردت البعض منهم وهاج أهل مكة، فخطبهم سهيل كما فعل الصديق -رضي الله عنه- فى أهل المدينة، فسكن أهل مكة وهدءوا. . فقال سهيل يومها لأهل مكة وقد تقلد سيفه ومن العجيب أن قال خطبته مثل ما قال أبو بكر الصديق رغم بُعد المسافات بينهما:

أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، وقد نعى الله نبيكم إليكم وهو بين ظهركم، ونعاكم إلى أنفسكم فهو الموت حتى لا يبقى أحد، ألم تعلموا أن الله قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٢). وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ

(١) من المعلوم أن سهيل بن عمر هو ابن والد أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس عبد شمس بن ود العامرى.
(٢) سورة الزمر: ٣٠.

Scanned by CamScanner

إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾(١).

ثم تلا قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾(٢).

فاتقوا الله واعتصموا بنبيكم، وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وكلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه وقد جمعكم الله على خيركم(٣).

ونعود إلى سهيل بن عمرو وهو أسير فى المدينة عقب غزوة بدر الكبرى، فقد أفدى نفسه وظل على كفره وشركه حتى يوم الفتح فأسلم وحسن إسلامه.

الرخصة النبوية لسهلة:

كانت لسهلة بنت سهيل -رضي الله عنها- رخصة من رسول الله -ﷺ-، حين أُلغى التبنى من الإسلام، فكان أبو حذيفة بن عتبة زوج سُهيلة قد تبنى سالم بن معقل -رضي الله عنه- وكان من الذين أسلموا قديمًا بمكة وتولاه أبو حذيفة وتبناه، وسمى سالم بن حذيفة وزوجه ابن أخيه الوليد بن عتبة فاطمة -رضي الله عنها-.

وكانت سهلة بمثابة الأم لسالم -رضي الله عنه-، وبعد نزول قوله

(١) سورة آل عمرن: ١٤٤.
(٢) سورة القصص: ٨٨.
(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.

تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾(١).

وهكذا أصبح سالم أخًا لحذيفة بن عتبة ولقب بسالم مولى أبى حذيفة.

ووجد أبو حذيفة وزوجته فى نفسيهما حرجات فى دخول سالم عليها كما كان يفعل فى الماضى.

فجاءت الرخصة من النبى -ﷺ- لها خاصة فقال لها: «**أرضعيه تحرمى عليه ويذهب الذى فى نفس أبى حذيفة**»، فقالت سهلة: إنى قد أرضعته، فذهب الذى فى نفس أبى حذيفة(٢).

وذكر ابن حجر أن سهلة كانت تحلب فى إناء قدر رضعه فيشربه سالم كل يوم حتى مضت خمسة أيام فكان يدخل عليها وهى حاسر، رخصة من رسول الله -ﷺ- لسهلة(٣).

وفى رواية أن سهلة جاءت النبى -ﷺ- فقالت: يا رسول الله إنا كنا نرى سالمًا ولدًا، وكان يأوى معى ومع أبى حذيفة فى بيت واحد، ويرانى فُضُلاً، وقد أنزل الله تعالى فيهم ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟

فقال -ﷺ-: «**أرضعيه**»(١).

(١) سورة الأحزاب: ٥.
(٢) أخرجه مسلم فى باب الرضاع.
(٣) الإصابة لابن حجر.
(٤) أخرجه أبو داود فى باب النكاح.

Scanned by CamScanner

قالت: فأرضعته خمس رضعات، فأصبح بمنزلة ابنها من الرضاعة.

وهكذا ارتفع الحرج عن سهلة وزوجها وتلك خاصية لها، كما قالت أم المؤمنين أم سلمة: أبى سائر أزواج النبى -ﷺ- أن يُدخلن عليهن أحدًا تلك الرضاعة، وقلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله -ﷺ- لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا(١).

وحين جاءت سهلة -رضي الله عنها- فسأل رسول الله -ﷺ- عما تفعل المرأة المستحاضة فى أداء عبادتها لله من صلاة وصوم، فأمرها أن تغتسل عند كل صلاة، فلما جهدها ذلك أمرها أن تجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بغسل وتغتسل للصبح(٢).

سهلة وزوجها أبو حذيفة بعد وفاة الرسول -ﷺ-:

عاش الزوجان بعد وفاة الرسول -ﷺ- على عهدهما وسيرتهما منذ أن أسلما قديمًا، وتابع أبو حذيفة جهاده مع كتائب الإيمان، فخرج مجاهدًا مع جيش المسلمين الذى حارب المرتدين فى معركة اليمامة الشهيرة، ومعه مولاه سالم وهناك حظى سالم وأبو حذيفة بالشهادة فى سبيل الله.

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه أبو داود.

واحتسبت سهلة زوجها عند الله وعاشت من بعده تستكمل مسيرة الإيمان تحيا للدعوة حتى تلقى ربها راضية مرضية.

وتزوجت سهلة من الصحابى عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- وأنجبت له ابنه سالم بن عبد الرحمن ولما مات عبد الرحمن بن عوف تزوجت عبد الله بن الأسود فأنجبت له ابنه سليط.. ثم تزوجت شماخ بن سعد فولدت له بكير. وعاشت سهلة حتى عصر دولة بنى أمية تتابع مسيرة العطاء إلى آخر حياتها ودفنت بالمدينة المنورة. -رضي الله عنها-.

Scanned by CamScanner

بنات أبى سلمة بن عبد الأسد

- رضي الله عنه -

[١٧] زينب بنت أبى سلمة

- رضي الله عنها -

[١٨] درة بنت أبى سلمة

- رضي الله عنها -

Scanned by CamScanner

[١٧] زينب بنت أبى سلمة - رضي الله عنها -

كان اسمـها «برَّة». . ونهى -ﷺ- التسمى بهـذا الاسم فقال: «لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم».

فقالوا: ما نسميها؟

قال: «**سموها زينب**»(١).

وهكذا غـيَّـر النبى -ﷺ- الكثـيـر من أسـمـاء الصـحـابة والصاحبيات، فكان يكره للمسلم أن يكون اسمـه قبيحًا أو مـخالفًا لهدى الإسلام وتعاليمه. . فغـير اسم جويرية أم المؤمنين وكان اسمها «برة» أيضًا، ومـن الذين غيَّر الرسـول الكريم -ﷺ- أسمـاءهم من الصحابة الكـرام: الحسن بن على وكان اسمه الذى سـماه به أبوه أبو حمزة والحسين سماه أبوه أبو جعفر، وسهل بن سعد كان اسمه حزنًا فغيره إلى سـهل، وعبد الله بن عمرو بن العاص كـان اسمه العاص، والأصم بن معاوية سماه عبد الرحـمن، والصحابى الشهير أبو هريرة كان اسمه فى الجاهلية عبـد شمس فسماه عبد الله وكناه بأبى هريرة، ومسروق بن الأجدع سماه مسروق بن عبد الرحمن لأن الأجدع اسم من أسماء الشيطان، وأم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- كان اسمها «برة». . وسمى رجلاً كان اسمه «شهاب» فقال له: أنت هشام(٢).

(١) رواه مسلم.
(٢) من فهرس سير أعلام النبلاء للذهبى.

ونعود إلى صاحبة السيرة زينب بنت أبى سلمة -رضي الله عنهما-، ونتعرف على أبيها الصحابى الجليل أبى سلمة -رضي الله عنه- قبل أن نقتبس بعضًا من سيرتها العطرة.

فأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب القرشى -رضي الله عنه-.

- أخو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الرضاعة.
- وابن عمته «برَّة بنت عبد المطلب».

من السابقين الأولين فى الإسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة وأنجبت له امرأته هند بنت أبى أمية ابنه سلمة هناك، وبه كنى أبا سلمة وأنجبت له عمر ودُرَّة وزينب.

عاد من الحبشة فى جوار أبى طالب بعد أن أُشيع أن قريشًا قد أسلمت بعد نزول سورة النجم.

قال ابن إسحاق عنه أنه أول من هاجر إلى الحبشة، ثم قدم مع عثمان بن مظعون فأجاره أبو طالب.

شهد أبو سلمة غزوة أُحد، وأصيب بجرحًا ظل يداويه شهرًا، ثم خرج بأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على رأس سرية للمسلمين وعقد له لواء، وقال له: «**سر حتى تأتى أرض بنى أسد، فأغر عليهم**».

وسار أبو سلمة بالسرية وقوامها مائة وخمسون رجلاً حتى

أغاروا على بنى أسد، وغنموا منهم ثم عادوا إلى المدينة، وانتفض جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الآخرة أى سنة ٤هـ(١).

وكان بين ذلك وغزوة أُحد التى جرح فيها أشهر قليلة.. فمات بجرح أُحد، فعد من شهدائها -رضي الله عنه-.

- والأم.. هى السيدة أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة المخزومية القرشية.

هى بنت عم خالد بن الوليد وكذلك بنت عم أبى جهل.

تزوجت أبا سلمة وهو ابن عمها، وهاجرت معه إلى الحبشة وأنجبت له سلمة هناك وكنيت به.

كان أبوها يسمى زاد الراكب من كثرة جوده وكرمه، وهى صاحبة هجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وقد هاجرت إلى المدينة بمفردها بعد أن سبقها زوجها أبو سلمة إليها، وقد أخذ قومه ولدها الرضيع منها فبقيت حتى أعطوها إياه فهاجرت به، وفى طريق هجرتها إلى المدينة بمفردها لقيت عثمان بن طلحة وكان على الشرك فقال لها إلى أين يا بنت أبى أمية؟

فقالت له: أريد زوجى بالمدينة.

وحين علم أنها بمفردها، رافقها فى الهجرة حتى قدمت المدينة

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى بتصرف.

عند قباء وقال لها: زوجك في هذه القرية ثم عاد إلى مكة، فكانت أم سلمة -رضي الله عنها- تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وكانت تثني على ذلك الرجل الذي أحسن صحبتها في الهجرة وتقول: ما رأيت صاحبًا قط كان أكرم من عثمان ابن طلحة(١).

وعاشت أم سلمة -رضي الله عنها- مع زوجها بالمدينة وأولادها زينب، وعمر، وسلمة ودرة قبل هجرة رسول الله -ﷺ- تربي أولادها على تعاليم الإسلام وحب رسول الإسلام -ﷺ-.

وشهد أبو سلمة بدرًا الكبرى وأيضًا غزوة أُحد التي جرح فيها جرحًا أصابه ومات بعده بأشهر قليلة متأثرًا به، وحين مات زوجها أبو سلمة جاءت رسول الله -ﷺ- تقول له: كيف أقول.

قال: قولي: اللهم اغفر لنا وله، واعقبني منه عقبة صالحة(٢).

فقالتها، فأعقبها الله رسول الله -ﷺ- ولما انقضت عدتها تقدم إليها أبو بكر الصديق، فردته في رفق وكذلك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

وبعث إليها رسول الله -ﷺ- يخطبها.. فقالت: إني امرأة غيرى - ومسنة وإني مصبية وليس أحد من أوليائي شاهدًا(٣).

---

(١) أسلم عثمان بن طلحة في صلح الحديبية.
(٢) رواه مسلم.
(٣) من حديث أحمد في مسنده، وغيرى أي كثيرة الغيرة.

فأخبرها -ﷺ- أنه سيدعو الله أن يذهب بغيرتها، وأن سنه أكبر من سنها، وأنه سيتكفل بتربية أولادها، وأن أولياءها سيرضون برسول الله -ﷺ- زوجًا لها.

وتزوجت أم سلمة -رضي الله عنها- برسول الله -ﷺ- ودخلت بيت النبوة وأصبحت أمًّا للمؤمنين.

وتربت زينب ابنتها وأولادها في بيت النبوة. فكانت زينب بنت أبي سلمة من فضليات نساء المدينة، وكان -ﷺ- يكرم زينب ويداعبها بقوله: **«أين زناب»** أو **«ما فعلت زناب»**.

زينب في حجر النبي -ﷺ-:

عاشت زينب بنت أبي سلمة في رعاية رسول الله -ﷺ- بعد أن تزوج بأمها أم سلمة، فكانت ربيبة رسول الله -ﷺ-.

وذات يوم دخلت عليه زينب وهو يتوضأ -ﷺ- فنضح في وجهها الماء، فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت وما زالت شابة جميلة الوجه.

وأصبحت زينب بنت أبي سلمة إحدى فقيهات المدينة المنورة وذلك من تربية رسول الله -ﷺ- لها وترددها على أمهات المؤمنين.

زواجها وصبرها:

- تزوجت زينب بنت أبي سلمة بالصاحبي عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدي القرشي، ابن أخت أم سلمة -رضي الله عنها-. قتل مع عثمان بن عفان في أحداث الفتنة عام ٣٥هـ.

Scanned by CamScanner

وأنجبت زينب من زوجها عبد الله بن زمعة: يزيد وكثير وأبا عبيدة.

ولأن زينب بنت أبى سلمة قد تخرجت من بيت النبوة فقد روت سبعة أحاديث عن رسول الله -ﷺ- وروى عنها عدد من الصحابة، وأخرج لها البخارى حديثًا وكذلك مسلم حديثًا(١).

ولأنها أيضًا من ربيبة رسول الله -ﷺ- فكانت مثالاً يضرب فى الصبر على البلاء.

وظهر صبرها حين قتل ابناها يوم واقعة الحرة بالمدينة المنورة فى عهد يزيد بن معاوية حين استباح مدينة رسول الله -ﷺ- وقتل جمعًا من أهلها، ووضعت زينب ابناها بين يديها وقد قتلا وردت:

- إنا لله وإنا إليه راجعون، والله إن المصيبة فيكما علىَّ لكبيرة، وهى علىَّ فى هذا -أحدهما- أكبر منهما فى هذا.. وأشارت إلى الآخر لأنه جلس فى بيته فدُخل عليه فقتل مظلومًا، وأنا أرجو له الجنة وأما الآخر فإنه بسط يده وقاتل فلا أدرى ما هو من ذلك، فالمصيبة به علىَّ أعظم منها فى هذا(٢).

وفاتها -رضى الله عنها-:

وعاشت -رضى الله عنها- حتى عام ٧٣هـ ودفنت بالمدينة، وحضر عبد الله بن عمر -رضى الله عنه- جنازتها.

-رضى الله عنها وأرضاها-.

(١) جاء ذكر ذلك فى كتب السيرة والتاريخ مثل أسد الغابة والاستيعاب والإصابة.
(٢) من كتب السيرة بتصرف - أسد الغابة والاستيعاب.

[١٨] دُرَّة بنت أبى سلمة -رضى الله عنها-

مثل زينب أختها كانت دُرَّة بنت أبى سلمة ربيبة رسول الله -ﷺ-.. تربت فى حجره وتحت بصره وشملها هى وأخواتها برعايته، بعد أن تزوج أمها أم سلمة -رضى الله عنها-.

ولأن الرسول الكريم كان يعاملها معاملة حسنة، ويعطف عليها، فقد ظن البعض أنه سيتزوجها.

فقالت له أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان أم المؤمنين:

- إنا قد تحدَّثنا إنك ناكح درة بنت أبى سلمة!!

فقال لها النبى -ﷺ-:

- **«أعلى أمة سلمة، لو أنى لم أنكح أم سلمة لما حلَّت لى، إن أباها أخى من الرضاعة»**(١).

وهكذا أوضح الرسول الكريم أن هناك مانعين من عدم التفكير فى الزواج من دُرَّة بنت أبى سلمة..

● المانع الأول: زواجه من أمها أم سلمة..

(١) أخرجه البخارى وغيره.

Scanned by CamScanner

● المانع الثانى: أنها أخت أخيه من الرضاعة[1]، فقد كان أبو سلمة أخوه من الرضاعة وابن عمته برة بنت عبد المطلب، ولكنها ربيبته وابنته ترتب تحت رعايته وفى كفالته.

وكان درة بنت أبى سلمة مثل أختها الكبرى زينب عالمة فقيهة صابرة عابدة لله رب العالمين، فأنعم بها من صاحبية بنت صاحبى.

ورضى الله عنها وأرضاها.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه وغيرهما عن زينب بنت أبى سلمة -رضي الله عنها-، قالت: إن أم حبيبة قالت: يا رسول الله هل لك فى درة بنت أبى سفيان -أختها-؟
قال لها: فأفعل هذا؟ قالت: تزوجها.
قال: أتحبين ذلك؟ قالت: ليست بمخيلة لك، وأحب أن من شركنى فيك أختى.
قال: فإنها لا تحل لى. قالت: فإنه بلغنى أنك تخطب بنت أبى سلمة
قال: فليست تحل لى، إنها ربيبتى فى حجرى، وإن أباها أرضعتنا ثويبة، فلا تعرضن على بناتكن ولا أخواتكن.

١٩

عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب

- رضي الله عنهما -

● ابنة أسد الله حمزة.. شهيد أُحد.

● زوجها الصاحبى ابن الصاحبى ابن أم المؤمنين.. سلمة بن أبى سلمة.

● كانت تسمى عمارة وأيضًا أمامة.

Scanned by CamScanner

[١٩] عمارة بنت حمزة[١] - رضى الله عنها -

الأب هو أسد الله أبو عمارة عم رسول الله -ﷺ- وأخوه فى الرضاعة.. حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَى ابن كلاب القرشى -رضى الله عنه-.

وقف حمزة -رضى الله عنه- من الإسلام فى بداية الدعوة موقفًا وسطًا فلم يؤمن ولم يحاربه كما فعل أخوه أبو لهب، وذات يوم تغير حاله.. فكان عائدًا من رحلة صيد وكعادته يطوف بالكعبة المشرفة قبل أن يصل إلى بيته، قابلته مولاة لعبد الله بن جدعان وهى تصيح:

- واذلاه يا بنى عبد مناف.. يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد من أبى الحكم بن هشام -تقصد أبا جهل- وجده جالسًا هاهنا فأذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره.

وانطلق حمزة من فوره إلى مجلس أبى جهل وحوله أصحابه وعلية القوم، ولم يكلمه بل ضربه بقوسه فشج رأسه وصاح فيه:

- أتشتمه.. فأنا على دينه.. أقول ما يقول.. فرد ذلك علىَّ إن استطعت.

فقال له القوم:

---

(١) تقول بعض مصادر السيرة أن اسمها أمامة وتكون كنيتها ولقبها.

Scanned by CamScanner

- ما نراك إلا صبوت يا حمزة.

فقال لهم: ومن يمنعنى وقد استبان لىَّ منه ما أشهد أنه رسول الله وأن الذى يقول هو الحق، فوالله لا أنزع، فامنعونى إن كنتم صادقين.

وكادت تحدث فتنة وقتال بين القوم.. إلا أن أبا جهل قال لهم: دعوا أبا عمارة فإنى والله سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا.

ويعود حمزة إلى ابن أخيه رسول الله -ﷺ- يحدث بما جرى له أمام القوم.

- يا ابن أخى إنى قد وقفت فى أمر ولا أعرف المخرج منه، وإن مثلى على ما لا أدرى.. أهو رشد أم غى شديد، فحدثنى حديثًا فقد اشتهيت أن تحدثنى.

وأقبل عليه الرسول -ﷺ-، يحدثه ويبشره بالخير الذى ينتظره إن أسلم لله ويخوفه من عذاب الله إذا عصى واستكبر، وقرأ عليه آيات من الذكر الحكيم.

وبكى حمزة بكاء المؤمن الذى استشعر عظمة القرآن والإيمان.

وأعلن حمزة إسلامه بين يدى رسول الله -ﷺ- ونطق الشهادتين. وقال لابن أخيه:

- فأظهر يا ابن أخى دينك، فوالله ما أحب أن لى ما أظلته السماء وأنا على دينى الأول.

وتبدل حال حمزة من اللهو وحب الدنيا ومتاعها إلى الجهاد فى سبيل دعوة الحق ومؤازرة رسول الله -ﷺ-، وترك حياة الرفاهية إلى حياة التقشف والصبر، كل ذلك فى سبيل الله، فهاجر إلى المدينة تاركًا بيته وماله وتجارته فى سبيل نصرة الدين وإعلاء كلمة التوحيد.

وفى غزوة بدر الكبرى قاتل حمزة قتال الأبطال، وأبلى بلاء حسنًا، وكان أول من بارز فى المعركة وتحقق للمسلمين النصر الأول الذى غير تاريخ البشرية، وقتل يومها عتبة بن ربيعة مبارزة.

ويوم أُحد قتل حمزة غدرًا بحربة وحشى العبد الذى كان عند جبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدى قتل يوم بدر فقال جبير بن مطعم لعبده وحشى: إن قتلت حمزة فأنت حر، وكان وحشى صاحب حربة لا تخطأ، وخرج العبد وحشى مع جيش المشركين، وتربص لحمزة وراء صخرة ولم يستطع مواجهته؟ وضربه بالحربة من وراء الصخرة غدرًا فقتله، ثم مثل بجثة حمزة وأخرج كبده ولاكتها هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان.

ويقف رسول الله -ﷺ- على جثمان الشهيد حمزة وقد بقرت بطنه وأخرج كبده وجدع أنفه وأذناه، فيقول وقد اعتصره الحزن:

- **«لولا أن تحزن صفية بنت عبد المطلب وتكون سُنَّة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم. جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات**

Scanned by CamScanner

السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، ما وقفت موقفًا أغيظ إلىَّ من هذا».

ويصلى رسول الله -ﷺ- على شهداء أُحد السبعين.. رجلاً رجلاً وحمزة مع كل شهيد.

ثم دفنه مع ابن أخته عبد الله بن جحش.. -رضي الله عنه-.

وينزل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾(١).

فيعفو رسول الله -ﷺ- عن أن يمثل بثلاثين رجلاً من قريش كما فعلوا بحمزة -رضي الله عنه-.

وأم عمارة -بنت حمزة- هى سلمى بنت عميس(٢) أخت أسماء بنت عميس -رضي الله عنها-.

أسلمت قديمًا مع زوجها حمزة وهاجرت معه إلى المدينة المنورة.

وحزنت سلمى بنت عميس لمقتل زوجها حمزة يوم أُحد وصبرت واستوجبت.

وتزوجت من بعد حمزة الصحابى شداد بن الهاد الليثى حليف بنى هاشم وأنجبت له عبد الله بن شداد أخا عمارة لأمها.

(١) سورة النحل: ١٢٦.
(٢) هى سلمى بنت عميس بن مَعْد الخثعمية.. انظر الطبقات لابن سعد.

عمارة وهجرتها إلى المدينة:

بعد أداء الرسول -ﷺ- عمرة القضاء فى العام السابع الهجرى، وفى طريق العودة إلى المدينة كانت عمارة بنت حمزة ما زالت تقيم فى مكة، وأرادت الهجرة والخروج مع المسلمين العائدين إلى المدينة، فتبعتهم ونادت عليهم: يا عمَّ.

فأجابها على بن أبى طالب -رضي الله عنه- وقال لزوجته فاطمة -رضي الله عنها-:

- دونك.

وحملها مع زوجته إلى المدينة المنورة، وهناك اختصم فيمن يكفلها.. ثلاثة كرام.. هم:

على بن أبى طالب وزيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب -رضي الله عنهم-.

فقال على: أنا أخذتها وهى ابنة عمى.

وقال جعفر بن أبى طالب: ابنة عمى وخالتها -أسماء بنت عميس- تحتى.

وقال زيد بن حارثة: ابنة أخى -فقد آخى رسول الله -ﷺ- بينه وبين حمزة بعد الهجرة النبوية للمدينة.

وقضى رسول الله -ﷺ- لجعفر بن أبى طالب لأن خالتها زوجته وهى بمثابة أمها.

Scanned by CamScanner

وعاشت عمارة فى المدينة فى كنف خالتها، تحيا فى ظل الإسلام وتنهل من معين الإيمان الصافى.. وتحت رعاية خير البرية -ﷺ-، يشملها برعايته وحبه، فهى ابنة أخيه من الرضاعة وابنة عمه، وحين أشاروا عليه بالزواج منها قال:

- ابنة أخى من الرضاعة.

فقد أرضعتها ثويبة جارية أبى لهب.

وزوجها -ﷺ- بابن أبى سلمة الصحابى الجليل.. سلمة بن أبى سلمة -رضي الله عنهما-.. وقال: هل جزيت سلمة؟

فقد كان سلمة هو وكيل أمه أم المؤمنين أم سلمة حين تزوجها رسول الله -ﷺ-.

وهكذا كانت حياة عمارة أو أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنهما وأرضاها-.

٢٠

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله

-رضي الله عنهما-

- أبوها.. أحد العشرة المبشرين بالجنة.. وأحد السابقين للإسلام.
- أمها: أم كلثوم أخت السيدة عائشة أم المؤمنين.

Scanned by CamScanner

[٢٠] عائشة بنت طلحة الفياض - رضي الله عنها -

من أبوين كريمين . . فالأب هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى أحد العشرة المبشرين بالجنة . . أسلم قديمًا بمكة، وأحد الثمانية الذين رشحهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- للخلافة بعد مقتله، أوذى فى سبيل الله، وهاجر فرارًا بدينه، لم يشهد بدرًا الكبرى، لسفر فى تجارة إلى الشام وحزن لذلك فضرب له الرسول -صلى الله عليه وسلم- بسهمه وأجره.

قال عنه -صلى الله عليه وسلم-: **«من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشى على رجليه، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»**[(١)].

شهد غزوة أُحد، ودافع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى شلت يده.

وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- على جبل حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير فتحركت صخرة فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«اهدأ! فما عليك إلا نبىٌّ أو صديق أو شهيد»**[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذى وابن ماجه وهو ضعيف عن البعض وأن راوى الحديث صالح بن موسى قال عنه الذهبى كوفى ضعيف.

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة -رضي الله عنه-.

Scanned by CamScanner

وسماه الرسول -ﷺ- بطلحة الفياض حين اشترى بئرًا، ونحر جزورًا، وأطعم الناس[١] وسماه يوم خيبر بطلحة الجواد[٢].

عاش حميدًا سخيًا، وقتل فقيرًا يوم موقعة الجمل بأيدى مثيري الفتنة بين الإمام على بن أبى طالب وطلحة والزبير -رضي الله عنهم-.

وقالوا: قاتل طلحة فى الوزر، بمنزلة قاتل على.

قتل فى موقعة الجمل الشهيرة عام ٣٦هـ ومعه ابنه محمد السَّجَّاد وكان شابًا عابدًا حزن عليه الإمام على بن أبى طالب وقال عنه:

- صرعه بِرُّه بأبيه.

وبنات طلحة بن عبيد الله هن: عائشة، وأم إسحاق، والصعبة، ومريم.

عائشة بنت طلحة وأبوها بعد موته:

وعائشة بنت طلحة هى ابنة أخت السيدة عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-، تزوجت بابن خالها عبد الله عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، وأنجبت منه ابنها الوحيد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق.

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير، وضعفه. وذكره ابن عساكر فى تاريخه والهيثمى فى المجمع.
(٢) أخرجه الحاكم فى معرفة الصحابة والطبرانى فى الكبير.

كانت ذات أدب وجمال.

جاءها رجل وقال لها: رأيت طلحة فى المنام فقال: قل لعائشة تحولنى من هذا المكان، فإن النَّزَّ -الرطوبة- قد أذانى.

فركبت عائشة بنت طلحة فى حشمها وأخرجوه من قبره الذى كان مجاورًا للنهر عند محلة بالبصرة.. وقال الراوى: فلم يتغير منه إلا شعيرات فى أحد شقى لحيته أو قال رأسه.

وكان بين وفاته ونقله أكثر من ثلاثين عامًا[١].

وتزوجت عائشة بنت طلحة بعد وفاة زوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر بالصحابى أمير العراق مصعب بن الزبير -رضي الله عنه- وأمهرها خمسمائة ألف درهم.

وبعد مقتل مصعب بن الزبير تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر ابن عثمان التيمى سيد بنى تيم فى عصره، ومن كبار القادة أيام إمارة مصعب للعراق، وتولى إمارة بلاد فارس سنة ٦٨هـ والبصرة فى عهد عبد الملك بن مروان. قال عنها الذهبى: كانت أجمل نساء زمانها وأرأسهن وحديثها مخرج فى الصحاح، ولما قتل مصعب بن الزبير تزوجها عمر بن عبيد الله التيمىّ، فأصدقها ألف ألف درهم، وروت عن خالتها عائشة أم المؤمنين ووفدت على هشام بن عبد الملك فاحترمها ووصلها بجملة كبيرة.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.

Scanned by CamScanner

وعاشت مع زوجها عمر التيمى ثمان سنين ثم توفى عام ٨٢هـ. فحزنت عليه ولم تتزوج بعده، وكانت تقيم عامًا بالمدينة وعامًا بمكة. ذكرها ابن حبان فى الثقات.. ووثقها ابن معين.

وعاشت -رضي الله عنها- والناس يتحدثون عن فضلها وأدبها فقد كانت ذات دراية بأخبار العرب وأشعارهم.

وفاتها -رضي الله عنها-:

توفيت عام ١١٠هـ ودفنت بالمدينة المنورة.

-رضي الله عنها وأرضاها-.

٢١

عائشة بنت سعد بن أبى وقاص

-رضي الله عنهما-

- ولدت بعد وفاة النبى -صلى الله عليه وسلم-.
- آخر من مات من بنات الصحابة -رضي الله عنهم-.
- ذات علم وفقه وعبادة ورواية للأحاديث.

Scanned by CamScanner

[٢١] عائشة بنت سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنها -

عائشة بنت سعد الصغـرى، روت عن أبيها سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب -رضى الله عنه- وعاشت حـتى أدركت الإمام مالك بن أنس إمام المدينة المنورة.

وقبل الحديث عن سيرتها العطرة نتعرض بشىء من الإيجاز عن سيرة والدها الصحابى الجليل.. أحد العـشرة المبشرين بالجنة.. سعد ابن مالك بن أهيب بن عبد منـاف.. الشـهـير بسـعد بـن أبى وقاص -رضى الله عنه-.

روى له الشيـخان خمـسة عشـر حديثًا، فى البـخارى خمـسة أحاديث ومسلم ثمانية عشر منفردين. وروت عنه ابنته عائشة، وبنوه: عامر وعمر ومحمد ومصعب وإبراهيم وغيرهم من الصحابة.

شهـد بـدرًا الكبـرى وأُحـد وغيـرها من المشاهد مع رسـول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان أول من رمى بسهـم فى الإسـلام، وقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«يا سعد ارم فداك أبى وأمى».

ويحكى سعد عند ذلك الموقف فيقول:

Scanned by CamScanner

ما جمع رسول الله -ﷺ- أبويه لأحد قبل، ولقد رأيته وإنه ليقول لى: **«يا سعد ارم فداك أبى وأمى»**(١).

وقال أيضًا عن نفسه: وإنى لأول مسلم رمى بسهم، ولقد رأيتنى مع رسول الله -ﷺ- سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق السَّمُر حتى أن أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ثم أصبحت بنو أسد تعذرنى على الإسلام، لقد خبتُ إذن وضل سعى(٢).

وعن عائشة قالت: أرِقَ رسول الله -ﷺ- ذات ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحًا من أصحابى يحرسنى الليلة» قالت: أى عائشة -أم المؤمنين- فسمعنا صوت سلاح، فقال رسول الله: «من هذا؟» قال سعد بن أبى وقاص: أنا يا رسول الله، جئت أحرسك.

فنام رسول الله -ﷺ- حتى سمعت غطيطة»(٣).

وكان سعد -ؓ- من الذين زهدوا الدنيا فقد جاءه ابنه عمر وهو جالس فى غنم له فقال له:

- يا أبة أرضيت أن تكون أعرابيًا فى غنمك والناس يتنازعون فى الملك بالمدينة.

فضرب سعد صدر عمر.. وقال له: اسكت فإنى سمعت

(١) رواه البخارى وأحمد ومسلم. ومسلم
(٢) رواه أحمد فى المسند ومسلم والترمذى.
(٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

رسول الله -ﷺ- يقول: **«إن الله عز وجل يحب العبد التقى الغنى الخفى»**(١).

وأما عن العشرة الذين بشرهم رسول الله -ﷺ- بالجنة، فقد ذكرهم الصحابى سعيد بن زيد -ؓ- وهو أحدهم فى المسجد الأكبر بالكوفة أمام الناس حين رآهم يسبون على بن أبى طالب -ؓ- أمام المغيرة بن شعبة وهو ساكت لا يرد عليهم فقال له:

- يا مغير بن شعبة، يا مغير بن شعبة ألا تسمع أصحاب رسول الله -ﷺ- يُسبون عندك، ولا تنكر ولا تُغيِّر؟ فإن أشهد على رسول الله -ﷺ- بما سمعت أذناى، ووعاه قلبى من رسول الله -ﷺ-، فإن لم أكن أروى عنه كذبًا أنه قال: **«أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة وعلى فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن فى الجنة، وسعد بن مالك فى الجنة»** وتاسع المؤمنين فى الجنة، ولو شئت أن اسميه لسميته، فضج أهل المسجد يناشدونه: يا صاحب رسول الله! من التاسع؟

قال: ناشدتمونى بالله والله عظيم، أنا هو.

والعاشر رسول الله -ﷺ-، والله لمشهد شهده رجل مع رسول الله -ﷺ-، أفضل من عمل أحدكم، ولو عُمر ما عُمر نوح(٢).

(١) رواه أحمد ومسلم.
(٢) أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه، وسعد بن مالك هو سعد بن أبى وقاص -ؓ-.

Scanned by CamScanner

وكان -ﷺ- يفاخر بنسبه إلى سعد ويقول: **«هذا خالى، فَلْيُرِنى امرؤ خاله»**(١).

وذلك لأن أم النبى -ﷺ- آمنة بنت وهب ابنة عم أبى وقاص مالك بن وهب.

ودعا له النبى -ﷺ- أن يكون مستجاب الدعوة، فكان كذلك. فقال -ﷺ- يوم أحد: **«اللهم استجب لسعد»** ثلاث مرات(٢).

وفى رواية: **«اللهم استجب لسعد إذا دعاك»**(٣).

وولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الكوفة من أرض العراق، وشكاه أهل الكوفة إلى عمر بن الخطاب فقالوا: إنه لا يحسن أن يصلى، فقال سعد: أما أنا، فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله -ﷺ-، صلاتى فى العشى لا أحرم منها، أركد فى الأولين وأحذف فى الأخرين. فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، وبعث عمر رجالاً يسألون عنه بالكوفة، فكذا لا يأتون مسجداً من مساجد الكوفة إلا قالوا خيراً عنه، حتى أتوا مسجد لبنى عبس، فقال رجل يدعى أبو سعدة: أما إذ نشدتمونا بالله، فإنه كان لا يعدل فى القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية.

فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأعم بصره وأطل عمره، وعرضه للفتن.

---

(١) رواه من مسلم وأحمد.
(٢) رواه ابن عساكر فى تاريخه.
(٣) رواه الترمذى والحاكم وصححه الذهبى ورواه الهيثمى فى الزوائد.

قال عبد الملك بن عمر -راوى الحديث-: فأنا رأيته بعد يتعرَّض للإماء فى السكك، فإذا سئل كيف أنت: يقول كبير، فقير، مفتون.. أصابتنى دعوة سعد(١).

وفى رواية: إن سعد خطب أهل الكوفة فقال لهم: يا أهل الكوفة! أى أمير كنت لكم؟

فقام رجل فقال: اللهم إن كنت ما علمتك لا تعدل فى الرعية، ولا تقسم بالسوية ولا تغزو بالسرية.

فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً، فأعم بصره، وعجل فقره وأطل عمره وعرضه للفتن.

فما مات الرجل حتى عمى وافتقر وأدرك الفتنة وهى فتنة المختار فقتل بها(٢).

وفتح الله على جيوش المسلمين بقيادة سعد بن أبى وقاص بلاد فارس وانتصروا فى أكبر المعارك ضد الفرس وهى معركة القادسية ونزل سعد بالمدائن ثم كان أمير الجيش يوم جلولاء -فى طريق خرسان عام ١٦هـ.

والأخبار التى ذكرت فى استجابة الله لدعوة سعد كثيرة ذكرنا منها أشهرها ونذكر منها أيضاً أن رجلاً نال من على بن أبى طالب

---

(١) رواه الشيخان وذكرناه بتصرف بسيط.
(٢) ذكره ابن عساكر فى تاريخه تاريخ دمشق.

Scanned by CamScanner

-وطلحة والزبير فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع فى إخوانى، فأبى الرجل، فقام سعد وصلى ركعتين ودعا على الرجل، فما برح حتى شرد به البعير فخبطه فمات، والناس يقول لسعد: هنيئًا لك يا أبا إسحاق!! أستجيبت دعوتك[١].

وتوفى -رضي الله عنه- عام ٥٥هـ وكان آخر المهاجرين وفاة وكان قد اعتزل الناس فى قصره على أطراف المدينة قرب أرض أحد فى منطقة تسمى حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة -رضي الله عنه-.

عائشة العالمة المحدثة:

نشأت عائشة بنت سعد فى رعاية أبيها، وأدركت ستًا من زوجات النبى -ﷺ-، فتعلمت منهن العلم الوافر، وروت عن أبيها ما سمعه من أحاديث نبوية، رغم أنها ولدت بعد وفاة النبى -ﷺ-.

قال عنها ابن حجر العسقلانى: عائشة بنت سعد بن أبى وقاص، ثقة من الرابعة، عمرت حتى أدركها مالك، ووهم من زعم أن لها رؤية[٢].

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير، والهيثمى فى المجمع وابن عساكر فى تاريخه ورجاله رجال الصحيح وذكرناه بتصرف بسيط.
(٢) تقريب التهذيب لابن حجر.

وقد اختلف فى رؤيتها النبى -ﷺ- والصحيح أنها ولدت بعد وفاته بزمن، فقد قال ابن حجر فى الإصابة: ثبت فى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص أنه قال للنبى -ﷺ- لما عاده وهو مريض بمكة فى عام الفتح أو فى حجة الوداع: ولا يرثنى إلا ابنة لى. فقال النووى فى المبهمات: اسمها عائشة، وتعقبه فى التجريد بأن عائشة بنت سعد تابعية تأخرت حتى لقيها مالك، وهو تعقب غير مرضى، فإن عائشة التى ذكرها ابن سعد هى الكبرى، وأما التى أدركها مالك فهى الصغرى التى ولدت بعد النبى -ﷺ- بدهر[١].

وقد أنجب سعد بن أبى وقاص بنات وبنت بعد دعاء النبى -ﷺ- له بالشفاء.

مولدها -رضي الله عنها-:

وكان ميلاد عائشة الصغرى فى خلافة عثمان بن عفان نحو عام ٣٣هـ بالمدينة المنورة.

وتعلمت عائشة من أبيها الكثير، وحفظت منه أيضًا الكثير من الأحاديث النبوية التى حفظها عن رسول الله -ﷺ- فقال النووى: روى له عن رسول الله -ﷺ- نحو ٢٧٠ حديثًا[٢].

وروى عنها الإمام مالك بن أنس وهى من الثقات، وأثنى عليها أهل العلم فى قدرها وأمانتها فى الرواية والحفظ.

---

(١) الإصابة فى تميز الصحابة لابن حجر.
(٢) تهذيب الأسماء للنووى.

Scanned by CamScanner

بعض أحاديثها التى روتها:

من الأحاديث التى روتها عائشة عن أبيها سعد بن أبى وقاص قالت: قال سعد: اشتكيت بمكة، فدخل علىَّ رسول الله -ﷺ- يعودنى، فمسح وجهى وصدرى وبطنى، وقال: «**اللهم اشف سعدًا**».

فما زال يخيَّلُ إلىَّ أنى أجد برد يده -ﷺ-، على كبدى حتى الساعة»(١).

وفى رواية أخرى: قال: تشكيت بمكة شكوى شديدة، فجاءنى النبى -ﷺ-، فقلت: يا نبى الله، إنى أترك مالاً، وإنى لم أترك إلا بنتًا واحدة، أفأوصى بثلثى مالى، وأترك الثلث؟

قال: «**لا**».

قلت: فأوصى بالنصف وأترك النصف.

قال: «**لا**».

قلت: فأوصى بالثلث وأترك الثلثين.

قال: «**الثلث والثلث كثير**».

ثم وضع يده على جبهته ثم مسح يده على وجهى وبطنى ثم قال: «**اللهم اشف سعدًا، وأتمم له هجرته**».

---

(١) أخرجه البخارى والنسائى.

فما زلت أجد برده على كبدى فيما يخال إلىَّ حتى الساعة»(١).

وروت أيضًا عن أبيها قال: «لقد رأيتنى أرمى بالسهم يومئذ -يوم أُحد- فيرده على رجل أبيض، حسن الوجه، لا أعرفه حتى كان بعد، فظننت أنه ملك»(٢).

ويوم قريظة تروى عن أبيها أنه قال: قال لى رسول الله -ﷺ-: «**يا سعد تقدم فارمى**» فتقدمت حيث تبلغهم نبلى، ومعى نيف على الخمسين فرميناهم ساعة، وكان نبلنا مثل جراد فأنحجروا فلم يطلع منهم أحد(٣).

وكانت عائشة بنت سعد تفاخر بأبيها فتقول:

أنا ابنة المهاجر الذى فداه رسول الله -ﷺ- يوم أُحد بالأبوين.

وكانت تدخل على نساء النبى -ﷺ- وتسألهن فى أمور الدين صغيرها وكبيرها!! فقالت:

- أدركت ستًا من أزواج النبى -ﷺ- وكنت أكون معهنَّ، فما رأيت على امرأةٍ منهن ثوبًا أبيض، وكنت أدخل عليهن، وعلىَّ الحلل فلا يَعبنَ ذلك علىَّ.

فقيل لها: ما هو؟

---

(١) البخارى ومسلم وأحمد.
(٢)، (٣) المغازى للواقدى.

Scanned by CamScanner

قالت: قلائد الذهب ومزيقيات الذهب(١).

وفاتها: -رضي الله عنها-:

وعاشت -رضي الله عنها- حتى بلغت العقد الثامن من عمرها ووافتها المنية فى عام ١١٧هـ وهى آخر من مات من بنات الصحابة المهاجرين.

-رضي الله عنها وأرضاها-.

(١) ابن سعد فى طبقاته.

٢٢

الفريعة بنت مالك بن سنان

-رضي الله عنها-

- صاحبية بنت صاحبى أخت صاحبى.. من الأنصار.
- شهدت بيعة الرضوان مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
- راوية للحديث.. مجاهدة فى سبيل الله.

[٢٢] الفريعة بنت مالك بن سنان - رضى الله عنها -

صاحبية من كبريات الصاحبيات.. جمعت بين رواية الحديث النبوى.. والجهاد فى سبيل الله.. والفقه فى الدين.

نشأت فى أسرة أسلمت منذ دخل الإسلام للمدينة، فهى أسرة من الأنصار، من بنى خدرة الخزرجية.

أبوها.. مالك بن سنان بن عبيد الأنصارى المجاهد الشهيد.

الأخ.. الصحابى الجليل سعد بن مالك بن سنان وكنيته أبو سعيد الخدرى.

الأم.. أنيسة بنت أبى حارثة الأنصارية النجارية.

والأخ لأم.. قتادة بن النعمان بن زيد الأنصارى الصاحبى.

أسرة ذات شوامخ وثوابت كالجبال، ونود التعرف عليها بشىء من الإيجاز وأيضًا الفخار..

الأب.. مالك بن سنان الأنصارى المجاهد الشهيد.. كان من فقراء المدينة.. ورغم ذلك لم يسأل أحدًا.. فصبر على الجوع.. وتعفف حتى قال عنه - ﷺ -:

«من أراد أن ينظر إلى العفيف، فلينظر إلى مالك بن سنان».

Scanned by CamScanner

وقف يوم أُحد يقـول: نحن والله بيت إحدى الحسنيين، إما أن يظفرنا الله بهم فـلا يبقى إلا الشريد، والأخـرى يا رسول الله يرزقنا الشهادة والله يا رسول الله ما أبالى أيهما كان.. إن كلا لفيه الخير»..

وفى المعركة ظهر بأس مالـك، وقاتل قتال الأبطال الأشاوس.. فدائية نادرة.. لم يفر كـما فعل البعض.. وإنما وقف يدافع عن راية التوحيد.. وعن رسول الله -ﷺ-، فرأى الدماء قد خضبت وجهه الشريف، فمسح عنه الدم.. بل وبلعه ولم يلقه على الأرض.

وحين تجمع الكفار على رسول الله -ﷺ- ليقتلوه تصدى لهم مالك بن سنان وتلقى الطعنات التى مزقته وسقط شهيدًا، وقد وفىَّ ما عاهد الله عليه.. ونال الشهادة.

ونظر رسول الله -ﷺ- وهو ينزل فى قبره حيث مثواه الأخير فقال:

- **«من أحب أن ينظر إلى من خالط دمى دمه، فلينظر إلى مالك ابن سنان».**

رضى الله عنه مع الصديقين والشهداء.

الأخ الشقيق.. أبو سعيد الخدرى.. مفتى المدينة.. سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر -خدرة- بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصارى، أكثر الحديث عن النبى -ﷺ- وعن أبى بكر وعمر وكان من الفقهاء والمجتهدين.

أراد الاشتراك فى غزوة أحد وهو ابن ثلاثة عشر عامًا فجعل أبوه يقول للرسول -ﷺ-: إنه عبل العظام -يقصد أنه مكتمل الفتوة-.

وجعل النبى -ﷺ- يُصعد النظر، ويصوبه، ثم قال: «رده»، فردنى(١).

شهد يوم الحرة فى عهد يزيد بن معاوية حين استباح المدينة وقتل أهلها فدخل أبو سعيد الخدرى غارًا، فدخل عليه فيه رجل، ثم خرج، فقال لرجل من أهل الشام.. وهم الغزاة من جنود يزيد: أدلك على رجل تقتله! فلما انتهى إلى باب الغار، وفى عنق أبى سعيد السيف، قال لأبى سعيد: أخرج.

قال: لا أخرج وإن تدخل أقتلك.

فدخل الشامى عليه، فوضع أبو سعيد السيف.

وقال: بؤ بإثمى وإثمك. وكن من أصحاب النار.

قال: أنت أبو سعيد الخدرى.

قال: نعم.

قال: فاستغفر لى. غفر الله لك(٢).

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك والطبرانى فى الكبير.

(٢) ابن عساكر فى تاريخه وفى رواية قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

توفى -رضي الله عنه- عام أربع وسبعين هجرية.

الفريعة بنت مالك والصبر على الجوع:

كانت أسرة الفريعة بنت مالك أسرة متعففة مستغنية بالله عن السؤال.

وضربت أروع مثل فى التعفف وعدم السؤال، ونترك أبا سعيد الخدرى يروى لنا هذا الدرس والمثل فى التعفف وعدم سؤال الناس رغم شدة الجوع الذى أصابهم: أصابنا جوع ما أصابنا مثله قط فى جاهلية، ولا إسلام، فقالت لى أختى فريعة:

- اذهب إلى رسول الله -ﷺ- فسلهُ لنا فوالله لا يُخيب سائله، لأنك منه بإحدى اثنتين: إما أن يكون عنده فيعطيك، وإما أن لا يكون عنده فيقول: أعينوا أخاكم فلم أكره ذلك، فلما دنوت من المسجد وهو يومئذ ليس له جدار، سمعت صوت رسول الله -ﷺ- فقلت: إن هذا النبى -ﷺ- يخطب، فكان أول ما فهمت من قوله:

«من يستعف يعفهُ الله، ومن يستغن يُغنه الله».

فقلت: ثكلتك أمك سعد بن مالك والله لكأنك أردت بهذا، لا جرم والذى بعثك بالحق لا أسأل شيئًا بعد ما سمعت منك.

وجلس أبو سعيد الخدرى يستمع إلى الدرس النبوى فى المسجد، ولم يسأل رسول الله -ﷺ- كما طلبت منه أخته.

وحين عاد إليها وقد جهدها الجوع والانتظار وأبصرت أنه عاد لا يحمل شيئًا.

قالت: مالك.

قال لها: فوالله ما يخيب سائله، وأخبرتها بالذى سمعت منه.

قالت: فسألته بعد ذلك.

قال: لا.

قالت: أحسنت.

فلما كان من الغد فإنى والله لأتعبُ نفسى تحت الأحم إذ وجدت من دراهم يهود فاتبعنا به وأكلنا، ثم والله ما زال النبى -ﷺ- محسنًا[1].

وأكرم الله البيت المالكى الخدرى فأصبحوا باستغنائهم عن سؤال الناس أغنى الأنصار.

الفريعة بنت مالك وبيعة الرضوان:

أضافت إلى سجلها المشرق المشرف صفحة ذات أهمية قصوى فى حياة المؤمن.. فإذا كانت الغاية هى الوصول إلى مرضات الله عز وجل، والفوز بجنته والنجاة من عذابه يوم القيامة، بل الأكثر من ذلك معرفة المصير ونحن فى الحياة الدنيا.. فقد فازت الفريعة بنت

---

(١) رواه البيهقى فى الدلائل.

Scanned by CamScanner

مالك بهـذا الرضا الإلهى والاطمئنان والبشـرى من الله ورسوله حين شملها قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١).

فلقد شهدت الفريعة بيعة الرضوان تحت الشجرة(٢) فى الحديبية حين ذهب الرسول -ﷺ- ومعه أصحابه لأداء العمرة بكر، ومنعتهم قريش من الوصول إلى البـيت الحرام.. فكانت البيعـة تحت الشجرة على التصدى لغـرور قريش، وانتهى الأمر بصلح الحديبـية بين قريش ورسول الله -ﷺ-.

وشملها الحـديث النبوى الذى أخبر فـيه الرسول -ﷺ- أنه لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها**».

الفريعة ورواية الحديث:

إلى جانب الصفحـات المشرقة من حياتها وجـهادها، كانت لها رواية للحديث النبوى، فـقد روت ثمانية أحاديث نبـوية منها حديث سكنى المتوفى عنها زوجها فى بيتها المؤجر.

فقالت الفريـعة بنت مالك فيما روته كتـب الحديث أنها جاءت

---

(١) سورة الفتح: ١٨.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووى.

إلى رسول الله -ﷺ- تسأله أن ترجع إلى أهلها فى بنى خدرة، فإن زوجها خـرج فى طلب أعبد له أبقوا -هربوا- حـتى إذا كانوا بطرق القـدوم لحقـهم فـقتلـوه، فسـألت رسـول الله -ﷺ- أن أرجع إلى أهلى، فإنى لم يتركنـى فى مسكن يملكه ولا نفقة. فقـال لها رسول الله -ﷺ-: «**نعم**».

فخرجت حتى إذا كنت فى الحجـرة أو فى المسجد دعانى أو أمر بى، فدُعيت له فقال:

- «**كيف قلت؟**».

فرددت عليه القصة التى ذكرت من شأن زوجى.

فقال: «**امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله**».

قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا.

وكانت الفريعة مرحبًا للصحابة والعلماء فى هذه المسألة الفقهية.

وعاشت الفريعة إلى زمن الخلافة الراشدة -رضي الله عنها- وأرضاها-.

Scanned by CamScanner

٢٣

لبابة بنت عبد الله بن عباس

- رضي الله عنهم -

- أبوها.. حَبْر الأمة ترجمان القرآن.
- جدها: عم النبى - صلى الله عليه وسلم - العباس بن عبد المطلب.

Scanned by CamScanner

[٢٣] لبابة بنت عبد الله بن عباس - رضي الله عنها -

أبوها هو ابن عم رسول الله -ﷺ-، حَبـرُ الأمة، وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ولد بشعب بنى هاشم أيام الحصار قبل الهجرة بثلاث سنوات.

صحب النبى -ﷺ- نحو ثلاثين شهرًا، وكان عمره وقت وفاة الرسول -ﷺ- خمسة عشر عامًا، روى عن النبى -ﷺ- جملة أحاديث.

أمه هى أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها-.

وأولاده: الفضل ومحمد وعبيد الله ولبابة وأسماء والعباس وعلى أبو الخلفاء.

دعا له النبى -ﷺ- فقال: «**اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل**».

أبوه هو العباس بن عبد المطلب عم النبى -ﷺ-، أسلم قبل الفتح وكان قبل ذلك يكتم إسلامه بمكة.

ذكر أصحاب السنن أن العباس بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله -ﷺ-، فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه، فلقى العباس رسول

Scanned by CamScanner

الله -ﷺ- بعد ذلك، فقال: أرسلت إليك ابنى فوجد عندك رجلاً، فلم يستطع أن يكلمك. فقال: يا عم! تدرى من ذا الرجل؟

قال: **«ذاك جبريل لقينى، لن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علمًا»**(١).

عن عكرمة عن ابن عباس قال: كل القرآن أعلمه إلا ثلاثًا: الرقيم، غسلين، حنانًا(٢).

قمت بهذا الأمر -أى توليت الخلافة- الآن ألزمك الناس دم عثمان إلى يوم القيامة.

وعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس.

سأل رجل ابن عباس: كيف صومك؟ قال: أصوم الاثنين والخميس. قال: ولِمَ؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم.

توفى -رضي الله عنه- بالطائف وقد قارب السبعين من عمره، وكف بصره، وحين وضع النعش ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل أكفانه ولم يخرج منه، ولم يجدوه، وبعد أن وضع فى التراب سمع

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع والطبرانى فى الأوسط بأسانيد ورجاله ثقات.
(٢) ذكره ابن عساكر فى تاريخه.

الناس صوتًا يقرأ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً.. الآية﴾(١).

وروى البخارى وغيره عن سعيد بن جبير قال:

كان ناس من المهاجرين قد وجدوا على عمر بن الخطاب فى إدنائه ابن عباس دونهم، قال: وكان يسأله. فقال عمر: أما أنى سأريكم اليوم منه ما تعرفون فضله، فسألهم عن هذه السورة: إذ جاء نصر الله.

فقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا رأى الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا أن يحمده ويستغفره فقال عمر: يا ابن عباس تكلم. فقال: أعلمه متى يموت. أى: فهى آتيك من الموت.. «فسبح بحمده ربك واستغفره».

وكان عمر يقول عنه: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانًا سؤولاً، وقلبًا عقولاً.

وكان -رضي الله عنه- ذا رأى صائب فقد حج بالناس فى خلافة عثمان ابن عفان -رضي الله عنه-، فلما رجع من الحج وجد عثمان قد قتل، فقال لعلى بن أبى طالب: إن أنت وكانوا الناس زمانه يرون الطائر الذى دخل كفنه أنه العلم(٢).

(١) سورة الفجر: ٢٧-٣٠.
(٢) أخرجه الحاكم فى معرفة الصحابة وإسناده فيه ضعف وقال الذهبى قضية متواترة أى القضية معروفة، وذكر القصة أيضًا الهيثمى فى المجمع والطبرانى: قال: رجاله رجال الصحيح.

Scanned by CamScanner

لبابة وأبوها:

سميت لبابة على اسم جدتها من أبيها أم الفضل لبابة بنت الحارث -رضي الله عنها- كانت إحدى بنات الصحابة الأعلام، أمها هى: زرعة بنت مشرح بن معدى كرب الكندى أحد ملوك كندة.

تزوجت على بن عبد الله بن جعفر، وولدت له، ثم تزوجت بعده إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله وأنجبت منه يعقوب، وطلقها، وتزوجت محمد بن عبيد الله بن العباس وتزوجت بعده من الوليد بن عتبة بن أبى سفيان.

وكان ابن عباس وابنته لبابة يعجبهما شعر عمر بن أبى ربيعة، وقد زاد بعض المؤرخين حول هذا الإعجاب قصصًا وشعرًا لا أساس له من الصحة ولا يليق بهذا الصحابى وابنته.. فقالوا عنها وعن زوجها الوليد بن عتبة كلامًا لا يليق بهذه السيدة الفاضلة أو مقام أبيها العالم الصحابى وقد ذهب مذهب هؤلاء أبو الفرج الأصفانى فى كتاب الأغانى.

وقد قالوا أن عمر بن أبى ربيعة لم يترك شريفة من نساء قريش إلا وقد تغزل فيها بشعره وأسرف فى ذلك فقد تغزل بابنة عبد الملك ابن مروان وأخته وامرأة سهيل بن عبد العزيز وبعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ولبابة بنت عبد الله بن عباس وغيرهم.

وقد ذكر صاحب العقد الفريد أن لبابة بنت عبد الله بن عباس تزوجت من الوليد بن عبد الملك[(١)].

ولم تذكر كتب السيرة تاريخًا لوفاتها كما لم تذكر متى ولدت، ولم تكن صاحبة رواية، ولكن يكفيها فخرًا أنها ابنة ابن عباس ابن عم النبى -صلى الله عليه وسلم- ترجمان القرآن وفقيه عصره. -رضي الله عنهما-.

(١) صاحب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى.

Scanned by CamScanner

٢٤

صفية بنت شيبة

- رضى الله عنهما -

- أبوها: شيبة بن عثمان حاجب الكعبة المشرفة أسلم يوم فتح مكة.
- من راويات الحديث النبوى.
- خال أبيها مصعب بن عمير شهيد أُحد وأول سفير فى الإسلام.

Scanned by CamScanner

[٢٤] صفية بنت شيبة - رضي الله عنها -

أبوها: شيبة بن عثمان بن أبى طلحة العبدرى القرشى.. كان مشاركًا لابن عمه عثمان بن أبى طلحة فى سدانة البيت الحرام.

يكنى أبا عثمان، وكان مصعب بن عمير العبدرى شهيد أُحد والذى أرسله النبى -ﷺ- بعد بيعة العقبة إلى المدينة المنورة يعلمهم الإسلام ويدعوهم إليه، فكان سببًا فى إسلام أهل المدينة ودخولهم فى دين الله أفواجًا.

قتل أبو شيبة كافرًا يوم أُحد، قتله حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-.

ظل مشركًا حتى يوم الفتح فأسلم مع من أسلم يومها دون اقتناع وأعطاه النبى -ﷺ- مفتاح الكعبة له ولابن عمه عثمان وقال: **«خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة»**.

إسلامه من دلائل النبوة:

كان إسلام شيبة يوم الفتح إسلامًا بغير اقتناع، وإنما غُلب على أمره ولم يتمكن الإسلام من قلبه، بل إنه أراد أن يغتال النبى -ﷺ- بعد فتح مكة يوم غزوة حنين.

ولندع شيبة يتحدث بنفسه عن إسلامه وكيف أراد قتل النبى

Scanned by CamScanner

-ﷺ- يوم حنين بعد فتح مكة وخروجه مع جيش المسلمين وهو يضمر الشرَّ فى نفسه فيقول:

- ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا وأجدادنا من الضلالات، ومن الانحراف عن طريق الخيرات..

ولما كان فتح مكة، دخل رسول الله -ﷺ- مكة عنوة، وغزا حنين، قلت -أى شيبة- أسير مع قريش إلى هوازن، فعسى أن اختلطوا أن أصيب من محمد -ﷺ- غرةً، وتذكرت أبى وكيف قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وتذكرت كذلك عمى وكيف جندله على بن أبى طالب وجعله كأس الدابر، فقلت فى نفسى: اليوم أدرك ثأرى من محمد، وأكون أنا الذى قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدًا ما تبعته أبدًا.

ويقول: فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله -ﷺ- عن بغلته، وأصلت سيفه، ودنوت منه أريد ما أريد منه، ورفعت سيفى حتى كدت أسوُره -أى أضربه- إذا رفع فيما بينى وبينه شواظ -لهب لا دخان فيه- من نار كأنه برق، فخفت أن يتمحشنى -يحرقنى- فوضعت يدى على بصرى خوفًا عليه، ومشيت القهقهرى، وعلمت أنه ممنوع محفوظ من الله.

والتفت إلىَّ رسول الله، وقال: «**يا شيب.. ادنُ منى**».

فدنوت منه، فوضع يده على صدرى، فمسح صدرى ثم قال:

«**اللهم أذهب عنه الشيطان**».

فرفعت إليه رأسى، وهو أحب إلىَّ من سمعى وبصرى وقلبى وأذهب الله ما كان بى.

ثم قال -ﷺ-:

- «**يا شيبة قاتل الكفار**».

فتقدمت أمامه أضرب بسيفى والله يعلم أنى أقيه بنفسى كل شىء ولو لقيت تلك الساعة أبى، لو كان حيًّا لوقعت به السيف، فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى انهزمت هوازن ثم رجع إلى معسكره، فدخل خباءه، فدخلت عليه، ما دخل عليه غيرى حيًّا لرؤية وجهه الشريف، وسرورًا به، فقال:

«**الحمد لله الذى أراد بك خيرًا مما أردت**».

ثم حدثنى بما هممت به وبكل ما ضمرت فى نفسى مما لم أذكره لأحد قط، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ثم قلت له: استغفر لى يا رسول الله.

قال: «**غفر الله لك**»(١).

وفى رواية أخرى لنفس القصة يقول ابن عساكر فى تاريخه: فقال -أى شيبة- خرجت مع النبى -ﷺ- يوم حنين، والله ما خرجت إسلامًا، ولكن خرجت إبقاء أن تظهر هوازن على قريش، فوالله إنى لواقف مع النبى -ﷺ- إذ قلت:

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر مع الاختصار.

- يا نبى الله! إنى لأرى خيلاً بلقاء.

قال -ﷺ-: «**يا شيبة إنه لا يراها إلا كافرًا**».

فضرب بيده صدرى. فقال: «**اللهم اهد شيبة**».

وفعل ذلك ثلاثًا، فما رفع رسول الله -ﷺ- يده عن صدرى الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحب إلىَّ منه.

توفى شيبة عام ٥٩هـ بمكة -رضي الله عنه-.

صفية بنت شيبة وصحبتها:

أدركت صفية عصر النبوة الخالد ونهلت من ينابيعه، فكانت لها صحبة وروت عن النبى -ﷺ- خمسة أحاديث منها ما رواه البخارى معلقًا:

«سمعت النبى -ﷺ- قال: «**حرَّم الله مكة، فلم تحل لأحد قبلى، ولا لأحد بعدى، أحلت لى ساعة من نهار، لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها، ولا يُنفَر صبرها، لا تلتقط لقطتها إلا لمعرِّف**».

وروى أيضًا عنها: قالت: أوْلَم النبى -ﷺ- على بعض نسائه بِمُدَّين من شعير.

وروت عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

«كان رسول الله يتكئ فى حجرى وأنا حائض يقرأ القرآن»[1].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده.

وظلت حياتها راوية علم تتعلم وتُعلم، حتى عاشت إلى الخلافة الأموية، فيقال أنها أدركت خلافة الوليد بن عبد الملك وأنها ماتت عام ٩٠هـ[1].

وقال الذهبى عنها: الفقيهة العالمة، أم منصور القرشية العبدرية المكية الحجبية.

ولكنه تشكك فى صحبتها، ولكن الصحيح أن لها رؤية وصحبة فقد ثبت فى صحيح البخارى معلقًا أنها قالت: سمعت رسول الله -ﷺ- وقالت: والله لكأنى أنظر إلى رسول الله حين دخل الكعبة.

وفى سنن ابن ماجه: أنها رأت رسول الله -ﷺ- يوم الفتح دخل الكعبة ولها عيدان، فكسرها.

روى عنها ابنها منصور بن عبد الرحمن الحجبى وقتادة والحسن ابن مسلم ومحمد بن عمران الحجبى وإبراهيم بن مهاجر وغيرهم.

توفيت عام ٩٠ -رضي الله عنها وأرضاها-.

---

(١) أعلام النساء لعمر رضا كحالة.

Scanned by CamScanner

٢٥

رملة بنت معاوية

- رضى الله عنهما -

- أبوها صاحبى تولى الخلافة.
- وأخوها خليفة.
- وعمتها أم المؤمنين أم حبيبة.
- وحماها: ثالث الخلفاء الراشدين وأحد المبشرين بالجنة.
- كانت ذات عقل راجح ورأى نافذ ثاقب وفطنة.

Scanned by CamScanner

[٢٥] رملة بنت معاوية - رضي الله عنها -

سماها أبوها على اسم أخته أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان - رضي الله عنها - .

وأبوها معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية . . أمير المؤمنين. القرشى المكى.

أسلم يوم الفتح، وقيل أنه أسلم وقت صلح الحديبية وبقى بمكة لا يظهر إسلامه خوفًا من أبيه، ثم أظهر إسلامه يوم الفتح.

ذكر ابن أبى الدنيا وغيره أنه كان طويلاً . . أبيض جميلاً إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وكان يخضب شعره ولحيته بالصفرة كأن لحيته الذهب(١).

يقول معاوية عن إسلامه: لما كان عام الحديبية وصدُّوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن البيت، وكتبوا بينهم القضية -الصلح- وقع الإسلام فى قلبى، فذكرت لأمى، فقالت: إياك أن تخالف أباك، فأخفيت إسلامى، فوالله لقد رحل رسول الله من الحديبية وإنى مصدِّق به، ودخل مكة عام عمرة القضاء وأنا مسلم، وعلم أبو سفيان بإسلامى، فقال لى يومًا: لكن أخاك خير منك وهو على دينى. فقلت: لم آل

(١) ابن عساكر فى تاريخه.

Scanned by CamScanner

نفسى خيرًا، وأظهرت إسلامى يوم الفتح فرحب بى النبى -ﷺ- وكتبت له(١).

وكان -﵁- من كتَّاب الوحى لرسول الله -ﷺ-، وذات يوم نزل الوحى على رسول الله -ﷺ- فلما سُرى عنه، طلب معاوية، فلما كتبها يعنى آية الكرسى قال له رسول الله -ﷺ-: **«غفر الله لك يا معاوية ما تقدم إلى يوم القيامة»**.

وقال ابن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى: لا يصح عن النبى -ﷺ- فى فضل معاوية بن أبى سفيان شىء وأصح ما روى فى فضل معاوية حديث ابن عباس أنه كاتب النبى -ﷺ-(٢).

وبعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان -﵁- طالب معاوية ابن أبى سفيان بدمه، ومعه أهل الشام، وحارب على بن أبى طالب -﵁- حتى قتل على بن أبى طالب على أيدى الخوارج، ونجا معاوية من الموت، وتنازل له الحسن بن على عن الخلافة عام ٤٠هـ وتولى الخلافة عشرين عامًا -حكم فيها العرب والعجم ودانت له الجزيرة العربية والشام والعراق وشمال أفريقيا ومصر.

وتوفى معاوية فى رجب سنة ٦٠هـ، وعاش سبعًا وسبعين سنة -﵁ وأرضاه-.

---

(١) المصدر السابق عن أنس بن مالك. وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات.
(٢) المصدر السابق.

رملة فى حياة أبيها:

تعتبر رملة بنت معاوية من بليغات بنات الصحابة، وكانت ذات رأى وذكاء.

وأمها هى كنود بنت قرظة وقيل كنوة ذكر ذلك الطبرى فى تاريخه، وماتت الأم فى غزوة قبرص أبان خلافة عثمان بن عفان -﵁-.

وتزوجت رملة من ابن عثمان بن عفان -﵁- «عمرو» ويكنى أبا عثمان. وكان أكبر ولد عثمان، وكان زواجها عقب تولى معاوية وابن الزبير الخلافة.

وأنجبت رملة من زوجها عمرو بن عثمان بن عفان ولدين هما: عثمان وخالد.

وتحكى كتب السيرة والتاريخ أن مروان بن الحكم جاء إلى عمرو ابن عثمان ليعوده فى مرض ألم به، وبعد انصراف الزائرين من عنده قال لعمرو بن عثمان:

يا عمرو، ما أخذ هؤلاء -بنى أبى سفيان بن حرب- الخلافة إلا باسم أبيك، فما يمنعك أن تنهض بحقك؟ فلنحن والله أكثر منهم رجالاً.. منا فلان، ومنهم فلان.. وظل يعدد رجالاً.. ثم قال: ومنا فلان وهو فضل وفلان فضل، فعدد فضول رجال بنى أبى العاص على رجال بنى حرب.

Scanned by CamScanner

وسمعت رملة بنت معاوية ما قاله مروان بن الحكم لزوجها وتحريضه إياه على منازعة أبيها فى الخلافة.

وحين تماثل زوجها للشفاء، وذهب إلى أداء فريضة الحج ذهبت رملة إلى أبيها بالشام، وتعجب معاوية من زيارتها فى موسم الحج فقال لها:

- مالك يا بنية: هل من شىء؟

قالت: لا شىء يا أبى.

وصمتت رملة وتعلو وجهها أمارات الحزن.

فقال معاوية: يا بنية هل طلقك زوجك.

قالت: لا يا أبت.. هو ضنين بى.

فقال لها: إذًا ماذا دهاك يا بنية؟

وحكت رملة لأبيها ما حدث من مروان بن الحكم لزوجها وقالت: يا أبت ما زال يعد فضل رجال أبى العاص على بنى حرب حتى عد ابنى عثمان وخالدًا ابنا عمرو، فتمنيت أنهما ماتا.

فقال معاوية: يا بنية آل سفيان أقل حظًا فى الرجال. فلا تخافى ولا تحزنى.

وأرسل معاوية إلى مروان بن الحكم بالمدينة رسالة قال له فيها:

أواضع رجل فوق أخرى يعدنا
عديد الحصى ما إن تزال تكاثر
وأمكم تزجى تؤامًا لبعلها
وأم أخيكم نزرة الوُلدِ عاقر

وأشهد يا مروان أنى سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً، اتخذوا مال الله دولاً، ودين الله دخلاً، وعباد الله طولاً**» والسلام.

ورد عليه مروان بن الحكم: أما بعد يا معاوية فإنى أبو عشرة، وأخو عشرة وعم عشرة والسلام[1].

وقد نال ما نال الكثير من بنات الصحابة من الدس فى سيرتهن من بعض المؤرخين، وألصقوا بها قصصًا وأشعارًا لا سند لها ولا أساس.

وحين حضرت الوفاة أباها جعلوا يديرونه فى قصره فقال لهم: هل بلغنا الخضراء؟!

فصرخت ابنته رملة فقال: ما أصرخك؟

قالت: نحن ندور بك فى الخضراء.. وتقول: هل بلغت الخضراء بعد.

---

(١) ابن عساكر فى تاريخه. بتصرف.

Scanned by CamScanner

فقال: إن عزب عقل أبيك فطالما وقر.

وفى رواية قال: حولى أباك فإنك تحـولينه حُولاً قُلبا -أى رجلاً عاقلاً عـارفًا- وتوفى معاوية، وتولى ابنه يزيد الخـلافة وعاشت رملة إلى ما شاء الله بدارها بدمشـق، ولا يعـلم أهل السير تاريخ الوفاة -رضي الله عنها-.

٢٦

أم هشام بنت حارثة بن النعمان

-رضي الله عنهما-

- الحافظة.. العابدة حفظت سورة ق من فم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
- ابنة أحد المائة الذين صمدوا فى غزوة حنين مع النبى -صلى الله عليه وسلم-.

Scanned by CamScanner

[٢٦] أم هشام بنت حارثة - رضى الله عنها -

من بنى النجار خرجت أم هشام بنت حارثة.. نشأت فى بيت يفيض بالجود والكرم..

أبوها الصحابى الجليل.. حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجى النجارى.

كان حارثة بارًّا بأمه وبيته مجاورًا لبيت أبى أيوب الأنصارى الذى نزل عليه رسول الله -ﷺ- ضيفًا حتى بنى مسجده وبيوته بجوار المسجد.

وحارثة هو الذى أعطى للنبى -ﷺ- أرضه حول المسجد لبناء بيوته وبيوت المهاجرين، وكلما تزوج النبى -ﷺ- تحول له حارثة عن منزله حتى صارت كلها لزوجات الرسول -ﷺ- حتى قال -ﷺ-: **«لقد استحييت من حارثة، مما يتحول لنا عن منازله»**(١).

هكذا كان كرم الصحابى حارثة..

وقد رأى حارثة جبريل -عليه السلام- مرتين، ويحكى ذلك حارثة نفسه فيقول:

رأيت جبريل من الدهر مرتين: يوم الصورين حين خرج رسول

---

(١) سير أعلام النبلاء، وابن سعد فى طبقاته وفى إسناده ضعف.

Scanned by CamScanner

الله إلى بنى قريظة، مرَّ بنا فى صورة دحية، فأمرنا بلبس السلاح، ويوم موضع الجنائز حين رجعنا من حنين، مررت وهو يكلم النبى -ﷺ-، فلم أسلم.

فقال جبريل: من هذا يا محمد؟

فقال: حارثة بن النعمان.

فقال: أما أنه من المائة الصابرة يوم حنين الذين تكفل الله بأرزاقهم فى الجنة، ولو سلم لرددنا عليه[(١)].

ومن فضائل هذا الصحابى ويكفيه قول الرسول -ﷺ- عنه: **«دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت: من هذا؟ قيل حارثة»**.

فقال النبى -ﷺ-: **«كذاك البر»**[(٢)].

أى أنه كان بارًا بأمه.

وقال الذهبى: كان دينا خيِّرًا بارًا بأمه.

وقد شهد حارثة يوم حنين حين ضاقت الأرض بما رحبت وفرَّ من فرَّ من المسلمين، وثبت من ثبت حول رسول الله -ﷺ-. فكان حارثة من الذين ثبتوا، المائة الصابرة الصامدة حتى تحقق لهم النصر، وتكفل الله بأرزاقهم فى الجنة.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وابن سعد فى طبقاته والهيثمى فى المجمع ورجاله رجال الصحيح وفى رواية أنه سلم على جبريل.

(٢) أحمد فى مسنده عن عائشة -رضي الله عنها-.

من أبنائه: أم هشام وسودة وعمرة وأم كلثوم وعبد الله، عبد الرحمن.

ومن ذريته أبو الرجال محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حارثة، وأم حارثة هى جعدة بنت عبيد الأنصارية ذات كرم وعطاء، وخصها رسول الله -ﷺ- بزيارتها والأكل من طعامها.

وأسرة حارثة بن النعمان قد أسلموا كلهم قبل مقدم النبى -ﷺ- للمدينة مهاجرًا.

أم هشام والقرآن الكريم:

فى الجو الأسرى المفعم بالإيمان وحب القرآن ورسول الإسلام -ﷺ-، ونهلت أم هشام من معين الإيمان الصافى.. وكان مجاورة رسول الله -ﷺ- الفضل فى تعلم أم هشام الكثير من الأحاديث وحفظها وروايتها، وكذلك حفظها لسور من القرآن وعلى الأخص سورة «ق» التى طالما سمعتها أم هشام من فم النبى -ﷺ- يقرأ كثيرًا فى خطبة الجمعة حتى وعتها وحفظتها.

وتحكى أم هشام كانت وبيوت النبى -ﷺ- يخبزان فى تنور واحد نحو عامًا وعن ذلك تقول أم هشام: لقد كان تنورنا وتنور رسول الله -ﷺ- واحدًا سنتين أو سنة وبعض سنة.

وتقول عن حفظها لسورة «ق» من فم رسول الله -ﷺ-: ما

أخذت «ق والقرآن المجيد» إلا عن لسان رسول الله -ﷺ-، يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس»[١].

وقد روت أم هشام عن الرسول -ﷺ- أحد عشر حديثًا وروى عنها كبار التابعين.

أم هشام وبيعة الرضوان:

لقد نالت أم هشام الخير كله والفوز بالبشارة بالجنة، والرضا كل الرضا من الله عز وجل حيث شهدت بيعة الرضوان تحت الشجرة المباركة يوم الحديبية عام ٦هـ.

فقد كانت بيعة على الموت فى سبيل الله، حين خرج المسلمون مع رسول الله -ﷺ- لأداء العمرة وصدتهم قريش عن البيت الحرام فى الحديبية وحصروا هناك، وكان عددهم ألف وأربعمائة رجل وامرأة، وقال -ﷺ- فيمن شهد تلك البيعة:

«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[٢].

وقال أيضًا فى رواية جابر: «أنتم خير أهل الأرض».

وفى رواية البخارى أن رسول الله -ﷺ- يقول: **«ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر»**.

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى.
(٢) رواه مسلم.

وصاحب الجمل الأحمر هو الحد بن قيس أحد المنافقين وكان حاضرًا يبحث عن جمله الأحمر.

وهكذا نالت أم هشام تلك البشارة بالجنة -رضي الله عنها- وأرضاها.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[١].

(١) سورة الفتح: ١٨.

Scanned by CamScanner

٢٧

فاطمة بنت اليمان

- رضى الله عنهما -

- أبوها صحابى جليل قتل شهيدًا يوم أُحد.
- أخوها الصحابى حذيفة بن اليمان. صاحب سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
- أمها أسلمت وهاجرت وحظيت بدعوة النبى - صلى الله عليه وسلم - لها.

Scanned by CamScanner

[٢٧] فاطمة بنت اليمان - رضي الله عنها -

الأسرة اليمانية.. حلفاء بنى عبد الأشهل.. فالأب جاء للمدينة هربًا من دمٍ أصابه فى قومه بنى عبس، واسمه «حُسيل» وحالف بنى عبد الأشهل.. واليمان نسبه إلى حلفائه من الأنصار الذين أصلهم من اليمن.

والأم من بنى عبد الأشهل الأنصارية أسلمت فى بداية الإسلام.

والأخت: أم سلمة بنت اليمان والأخرى: طولة بنت اليمان - رضي الله عنهما -.

وأخوها: صفوان بن اليمان صحابى شهد أُحد مع أخيه حذيفة وابنه.

حظى الابن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - بشهرة واسعة فى عالم الصحابة الكرام بصاحب سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقد أعلمه بأسماء المنافقين دون غيره من الصحابة - رضوان الله عليهم -.

وقد ناشده عمر: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أُزكى أحدًا بعدك.

ومن مناقبه أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد ندبه ليلة الأحزاب ليجُسَّ له

خبـر العدو كـما أشـار بذلك مسلم فـى باب الجهـاد وابن كثيـر فى التاريخ.

وسأل رجل حذيفة، فقال: ما النفاق!

قال حذيفة: أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به.

وكان حذيفـة يسأل رسول الله -ﷺ- دومًا عن الشر، والناس يسألونه عن الخير.. وعن ذلك قال:

كان الناس يسـألون رسول الله -ﷺ- عن الخيـر، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى[١].

وقال عن نفسه: والله إنى لأعلم الناس بكل فـتنة هى كائنة فيما بينى وبين الساعة[٢].

وفى رواية أحمد ومسلم من حـديث حذيفة -رضي الله عنه- قال: والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة فيـما بينى وبين الساعة؟ وما بى إلا أن يكون رسول الله -ﷺ-، أسـر إلىَّ فى ذلك شيـئًا لم يحدثه غيرى».

ولم يشهـد حذيفة ولا أبيـه غزوة بدر الكبـرى حيث أسرتهـما قريش وهما فى طريقـهما إلى المدينة، ولم تفرج عنهمـا إلا بعد أخذ العهد بعدم مؤازرة المسلمين أو القتال معهم.

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد.

ولكن حذيفة وأبيـه شاركا فى غزوة أُحد ومعهـما الأخ صفوان ابن اليمان.

وحين اختلط الحابل بالنابل فى تلك الغزوة قتل الأب أبو حذيفة بأيدى المسلمين خطأً دون أن يعرفوه.. وحذيفـة يصيح فيهم: أبى!! أبى!! يا قوم.

ودفع المسلمون الدية لحذيفة عن قتل أبيه فتصدق بديته[١].

فاطمة فى ظلال الإسلام:

فى ظل الإسلام كـانت الشجرة اليمـانية مثمـرة، فقد نال الأب الشهـادة فى غزوة أُحد رغم أنه شـيخ كبيـر فقد كـان يطمع فى نيل الشهـادة وقد نالها.. وتلقت فاطمـة نبأ استـشهاد أبيهـا بفرح المؤمن بنصر الله وعلمـها أن الشهيـد عند ربه فى الحياة الأبدية يرزقـه حيث يشاء.. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢].

وكانت لفاطمـة -رضي الله عنها- رواية وصحبة، وروى عنها ابن أخـيها أبو عبـيدة بن حذيفة وفى مـرض رسول الله -ﷺ- كانت لفـاطمة

(١) تروى كتب السيرة أن والد حذيفة وثابـت بن وقش قد خلفهما النبى -ﷺ- فى الحـصن مع النسـاء والأطفال لكبـر سنهـما ولـكنهمـا آثرا الاشتراك فى المعركة كى ينالا الشهادة، فدخلا المعركة دون علم المسلمين وتحقق لهما ما أرادا.
(٢) سورة آل عمران: ١٦٩.

Scanned by CamScanner

زيارة مع رفيقاتها.. وحين شاهدت سـقاء معلق وماؤه يقطر عليه من شدة ما يجد من حر الحمى، قالت:

يا رسول الله لو دعوت الله أن يكشف عنك.

فقال لها -ﷺ-:

«إن أشد الناس بلاءً الأنبيـاء ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم»(١).

-رضي الله عنها وأرضاها- هى وآل بيت اليمان الذين صـدقوا ما عاهدوا الله عليه.

(١) أخرجه أحمد فى مسنده.

٢٨

جميلة بنت سعد بن الربيع

- رضي الله عنهما -

- أبوها سـعـد بن الربيع أحـد النقـبـاء من الأنصـار نال الشهادة يوم أُحد.
- وهى عالمة قارئة للقرآن تربت فى رعـاية أبى بكر الصـديق -رضي الله عنه-.
- نزلت فـيـهـا وأختـهـا آية المواريث.

Scanned by CamScanner

[٢٨] جميلة بنت سعد بن الربيع - رضي الله عنها -

أبوها رجل تبوأ مقعده من الجنة، وشهد بدرًا، واستشهد يوم أُحد.. إنه الصحابى الجليل سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك ابن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب الخزرجى الأنصارى البدرى، أحد النقباء يوم بيعة العقبة الكبرى.

ونعرج قليلاً بسيرة هذا الصحابى إلى يوم أن آخى الرسول -ﷺ- بين المهاجرين والأنصار، فقد آخى بينه وبين الصحابى المهاجر عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- الذى ترك ماله وداره بمكة وهاجر إلى المدينة مهاجرًا فى سبيل الله، وسجل الأنصارى سعد بن الربيع أحد المواقف التى سجلها التاريخ للأنصار، فقد قسم سعد بن الربيع كل ما يملكه بينه وبين أخيه عبد الرحمن بن عوف، بل وعرض عليه أن يطلق إحدى زوجتيه ليتزوج بها، ولكن عبد الرحمن بن عوف امتنع عن قبول هذا العرض السخى ودعا له بالبركة فى ماله وأهله، وقال له: دلنى على السوق.

ويوم بدر الكبرى، أظهر الصحابى سعد بن الربيع بطولة وشجاعة نادرة، ويوم أُحد أظهر شجاعة وبطولة غير مسبوقة فقد طعن سبعين طعنة وقتل من الكفار الكثير.

Scanned by CamScanner

ويوم أحد.. وبعد انتهاء المعركة يعلن رسول الله -ﷺ- لمن حوله من الصحابة: «من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع؟».

فقال رجل من الأنصار: أنا!

فخرج يطوف فى القتلى، حتى وجد سعدًا جريحًا مثبًا بآخر رمق.

فقال: يا سعد إن رسول الله أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات؟

قال سعد: فإنى فى الأموات، فأبلغ رسول الله منى السلام وقل: إن سعدًا يقول: جزاك الله عنى خير ما جزى نبيًا عن أمته، وأبلغ قومك منى السلام وقل لهم: إن سعدًا يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف(١).

وفى رواية أخرى أن الرسول -ﷺ- أرسل زيد بن ثابت للبحث عن سعد بن الربيع فوجده فى الرمق الأخير وبه سبعون ضربة. وقال: على رسول الله السلام وعليك قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله -ﷺ-، وفيكم شفْر يطرف.. وفاضت نفسه -رضي الله عنه-(٢).

---

(١) الإصابة لابن حجر، والسيرة لابن إسحاق، أسد الغابة وسير أعلام النبلاء. بتصرف بسيط.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة.

وهكذا نال الشهادة فى سبيل الله يوم أحد، وترك سعد بن الربيع -رضي الله عنه- امرأته حاملاً فوضعت له بعد استشهاده الصحابية جميلة صاحبة سيرتنا هذه.

ونشأت جميلة يتيمة، فرعاها أبو بكر الصديق فى حجره وتحت رعايته، فكان يعرف قدر أبيها وقدرها حتى حين كبرت ونضجت وشبت عن الطوق، وتولى هو الخلافة بعد وفاة رسول الله -ﷺ-، فكان يلقى لها رداءه لتجلس عليه، وتعجب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لفعل أبى بكر -رضي الله عنه- فيقول له:

- من هذه؟

قال الصديق: هذه ابنة من هو خير منى ومنك.

قال عمر: ومن هو يا خليفة رسول الله؟!

قال: رجل تبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت، هذه ابنة سعد ابن الربيع، كان من النقباء يوم العقبة، وشهد بدرًا، واستشهد يوم أحد -رضي الله عنه-.

نزول آية الميراث فى حق جميلة:

كانت النساء فى الجاهلية وصدر الإسلام لا ترث، وسعد بن الربيع مات وترك ابنتين وزوجته، فأخذ أخوه كل ما يملك.

وأساء فعل أخيه زوجته عمرة بنت حزم بن زيد النجارية، وذهبت إلى رسول الله -ﷺ- فقالت:

Scanned by CamScanner

- يا رسول الله -ﷺ-، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتل أبوهما معك فى يوم أُحد شهيدًا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ولا ينكحان إلا ولهما مال.

فقال: يقضى الله فى ذلك.

فأنزلت آية المواريث، فبعث إلى عمهما فقال: أعط بنتى سعد الثلثين وأعط أمهما الثمن، وما بقى فهو لك(١).

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(٢).

زواج ابنة سعد بن الربيع:

تزوجت جميلة بنت سعد من الصحابى الكبير شيخ القراء وكاتب الوحى والمصحف فى عهد أبى بكر -رضي الله عنه- وعثمان بن عفان زيد بن ثابت الأنصارى -رضي الله عنه-، وكما تعلمت جميلة من الصحابى الجليل أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- الذى تربت فى حجره، كذلك

(١) رواه أحمد فى المسند وأبو داود والترمذى وقال: حديث صحيح. وتفسير ابن كثير فى سورة النساء وغيره.
(٢) سورة النساء: ١١.

تعلمت من زوجها زيد بن ثابت، فكانت من الفقيهات ذوات العلم والرأى الرشيد.

وأنجبت له أولاده: خارجة وسليمان ويحيى وعمارة، وإسماعيل، وأسعد، وعبادة، وإسحاق وحسنة، وعمرة، وأم كلثوم، أم إسحاق.

ومن مظاهر الحب والجود وصلة الرحم، تنازلت جميلة بنت سعد عن حقها فى الميراث لأختها الكبرى فقالت: ما كنت لأطلب من أختى شيئًا(١).

ومن شدة حبها لقراءة القرآن الكريم، كانت لها دراية بأسباب النزول، وأتقنت حفظه وذكر ابن الأثير أن جميلة بنت سعد وكنيتها أم سعد أدركت النبى -ﷺ- فكانت لها صحبة ورواية عنه... منها:

قالت: دخلت على أم عمارة -رضي الله عنها- فقلت لها:

- يا خالة أخبرينى خبرك.

فقالت: خرجت أول النهار، أنظر ما يضعُ الناس، ومعى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله -ﷺ- وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله -ﷺ-، فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلىَّ.

(١) الطبقات لابن سعد والإصابة لابن حجر.

قالت أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحًا أجوف له غور.

فقلت لها: من أصابك بهذا؟

قالت أم عمارة: أين قمئية.. لما ولىَّ الناس عن رسول الله -ﷺ-، أقبل يقول: دلونى على محمد، لا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير -رضي الله عنه-، وأناس ممن ثبت مع رسول الله -ﷺ- فضربنى هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان[١].

وكما تخرجت أم سعد فى مدرسة أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- فقد خرجت هى من مدرستها عالم المدينة التابعى خارجة بن زيد الذى توفى عام ١٠٠هـ وعمره سبعون عامًا، -رضي الله عنهما وأرضاها-.

ويذكر صاحب كتاب أسباب النزول السيوطى فى الآية ٣٣ من سورة النساء أن أم سعد -جميلة بنت سعد- قالت فيها: إنما نزلت فى أبى بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى أن يُسلم، فحلف أبو بكر أن لا يورثه، فلما أسلم أمره الله أن يورثه نصيبه.

قال تعالى: ﴿ولكُلٍّ جعلنا موالي ممَّا ترك الْوالدان والأقْربُون والذين عقدتْ أيمانُكُمْ فآتُوهُمْ نصيبهُمْ إنَّ الله كان علىٰ كُلِّ شيْءٍ شهيدًا﴾[٢].

وعاشت جميلة بنت سعد إلى بعد وفاة زوجها زيد بن ثابت، أى بعد عام ٤٥هـ -رضي الله عنهما-.

(١) سورة النساء: ٣٣.

٢٩

رملة بنت الزبير بن العوام

- رضي الله عنهما -

- أبوها.. حوارى رسول الله -ﷺ- وأحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عمته.
- جدتها.. صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله -ﷺ-.

[٢٩] رملة بنت الزبير بن العوام - رضى الله عنها -

الأب.. حوارى رسول الله -ﷺ- وأحد العشرة المبشرين بالجنة.. إنه الصحابى الجليل الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن لؤى بن غالب.

أسلم قديمًا وهو ابن ثمان سنين وقيل ست عشرة سنة(١).

وهو أول من سل سيفه فى سبيل الله بمكة، قال عروة بن الزبير، جاء الزبير بسيفه فقال النبى -ﷺ-: مالك؟

قال: أُخبرت أنك أُخذت.

قال: فكنت صانعًا ماذا؟

قال: كنت أضرب به من أخذك.

فدعا له ولسيفه.

وفى رواية عن عروة قال: أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين أو نفخت نفخة من الشيطان أن رسول الله -ﷺ- أُخذ بأعلى مكة، فخرج الزبير وهو غلام، ابن اثنتى عشرة سنة، بيده السيف، فمن رآه عجب. وقال: الغلام ومعه السيف حتى أتى النبى -ﷺ- فقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى.

Scanned by CamScanner

- «ما لك يا زبير؟».

فأخبره، وقال: أتيت أضرب بسيفى من أخذك[١].

وكان الزبير رجلاً طويلاً جداً إذا ركب خطت رجلاه الأرض وكان خفيف اللحية والعارضين أسمر اللون[٢].

قال عنه على بن أبى طالب: أشجع الناس: الزبير، ولا يعرف قدر الرجال إلا الله.

شارك الزبير فى الغزوات كلها مع رسول الله -ﷺ-، وقتل يوم أحد من المشركين عبيدة بن سعيد بن العاص، وعمه نوفل بن خويلد ابن أسد، وكان الزبير ابن أخ السيدة خديجة أم المؤمنين -رضى الله عنها-.

ورغم أن الزبير لم يفارق رسول الله -ﷺ- منذ أن أسلم إلا أن روايته للحديث قليلة وسُئل عن ذلك فقال حين سأله ابن عبد الله بن الزبير:

- ما لك لا تحدث عن رسول الله -ﷺ- كما يُحدث فلان وفلان؟

قال: ما فارقته منذ أسلمت، ولكن سمعت منه كلمة، سمعته يقول: **«من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**[٣].

---

(١) رواه الحاكم فى معرفة الصحابة وتابعه ابن الأثير فى الغابة «أسد الغابة» وابن عساكر فى تاريخه وسير أعلام النبلاء.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم.

وعن جابر قال: قال رسول الله -ﷺ- يوم الخندق:

«من يأتينا بخبر بنى قريظة؟» فقال الزبير: أنا.

فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية.. فقال الزبير: أنا. فذهب، ثم الثالثة، فقال النبى -ﷺ-: **«لكل نبى حوارى، وحوارى الزبير»**[١].

وعن عائشة أم المؤمنين قالت لابن أختها عروة بن الزبير:

«يا ابن أختى، كان أبواك -الزبير وأبو بكر- من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح»[٢].

وقال -ﷺ-: **«وحوارى من الرجال الزبير ومن النساء عائشة»**[٣].

ويوم غزوة الخندق حين عاد الزبير بن العوام بأخبار بنى قريظة ثلاث مرات قال له: «فداك أبى وأمى»[٤].

وقال عروة بن الزبير: كان فى الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن فى عاتقه، إن كنت لأدخل أصابعى فيها، ضرب ثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك[٥].

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) الآية من سورة آل عمران رقم ١٧٤، والخبر أخرجه البخارى بمعناه ومسلم فى فضائل الزبير بن طلحة وذكره ابن عساكر فى تاريخه.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٤) رواه البخارى فى فضائل الصحابة وأحمد فى المسند، وقد قال أيضاً لسعد بن أبى وقاص «ارم فداك أبى وأمى».

(٥) البخارى وتاريخ دمشق.

Scanned by CamScanner

وقتل يوم معركة الجمل بعد أن انسحب من المعركة أقام على بن أبى طالب حين ذكره علىّ -ؓ- يقول رسول الله -ﷺ- فقال:

- «يا زبير.. أنشدك الله، أسمعت رسول الله -ﷺ- يقول: إنك تقاتلنى وأنت ظالم لى؟».

قال الزبير: نعم، ولم أذكره إلا فى موقفى هذا.. ثم انصرف.

وكان الزبير قد خرج مع طلحة بن عبد الله لأخذ الثأر من قتلة عثمان بن عفان ومعهم أم المؤمنين عائشة -ؓا-.. وقابلهم على بن أبى طالب -ؓ- وقعت الفتنة والقتال بينهم بسبب ما أحدثه عبد الله بن سبأ اليهودى وأعوانه من إشعال نار الفرقة والفتنة بين الصحابة يومها، وانسحب الزبير من المعركة فى أولها بعد أن حدثه الإمام على ابن أبى طالب -ؓ- وتبعه أحد مدبرى الفتنة وهو ابن جرموز وطعن الزبير غدرًا فقتل شهيدًا ودفن بوادى السباع، وجلس علىّ بن أبى طالب على قبره يبكيه هو وأصحابه.

وحين جىء برأس الزبير إلى على بن أبى طالب قال لمن جاءه بها: تبوأ يا أعرابى مقعدك من النار، حدثنى رسول الله -ﷺ-: إن قاتل الزبير فى النار[1].

وقال الشعبى: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: على وعثمان وطلحة والزبير فى الجنة.

قلت: لأنهم العشرة المشهود لهم بالجنة ومن البدريين ومن أهل

(١) ابن عساكر فى تاريخه.

بيعة الرضوان ومن السابقين الأولين الذين أخبر تعالى أنه رضى عنهم ورضوا عنه ولأن الأربعة قتلوا ورزقوا الشهادة. فنحن محبون لهم، باغضون للأربعة الذين قتلوا الأربعة[1].

رملة مع أبيها وبعد موته:

عاشت رملة فى كنف أبيها، فتعلمت منه الشجاعة، والجود وحب الإسلام والزود عنه وحب رسول الله -ﷺ-، وشهدت معه أحداثًا جسامًا رغم صغر سنها، وتزوجت رملة من عثمان بن حكيم ابن حزام وعاشت معه نعم الزوجة المسلمة وأنجبت له ابنه عبد الله الذى تزوج من السيدة سكينة بنت الحسين بمشورة أمه بعد أن قتل مصعب بن الزبير زوجها وأخو رملة وأم رملة هى الرباب بنت أنيف ابن عبيد بن مصاد الكلبية[2]. وأخواها مصعب وحمزة من الرباب بنت أنيف والزبير بن العوام.

وكانت رملة ذات جمال فائق وبلاغة وعقل، وبعد مقتل زوجها عثمان بن عبد الله بن حكيم الأسدى القرشى، وهو من أقاربها من بنى أسد فى معركة الجمل.. تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية الذى قال فيها أشعار جميلة تدل على مدى حبه لها وتعلقه بها.

(١) قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

(٢) ابن عساكر فى تاريخه، نسب قريش.

وقد اشتهر زوجها خالد بن يزيد بن معاوية فى عالم الأدب والشعر وقد ترجم له الذهبى فى سير أعلام النبلاء:

خالد بن الخليفة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الإمام البارع أبو هاشم القرشى الأموى أخو الخليفة معاوية بن يزيد والفقيه عبد الرحمن، روى عن أبيه وعن دحية ولم يلقه، وروى عنه رجاء بن حيوة والزهرى وعلى بن رباح، قال عنه أبو زرعة الدمشقى: هو وأخوه من صالحى القوم.

كان يصوم الأعياد: الجمعة السبت والأحد، وقد ذُكر خالد للخلافة عند موت أخيه معاوية بن يزيد ولم يتم له ذلك وغلب عليه مروان بن الحكم بشرط أن يكون خالدًا ولى للعهد.

قال الأصمعى: قيل لخالد بن يزيد: ما أقرب شىء؟

قال: الأجل قيل: فما أبعد شىء؟ قال: الأمل.

قيل: فما أرجى شىء؟ قال: العمل.

وقال: إذا كان الرجل لجوجًا، مماريًا، معجبًا برأيه، فقد تمت خسارته.

وكان ذا علم ومعرفة واسعة فى شتى العلوم مثل الكيمياء والطبيعة وتوفى عام ٥٤هـ وقيل ٩٠هـ والله أعلم.

زواج رملة بخالد بن يزيد:

وبعد مقتل زوجها عثمان بن حكيم يوم الجمل فى خلافة على

ابن أبى طالب -رضي الله عنه- وظلت دون زواج حتى عهد خلافة عبد الملك ابن مروان، وقد شاهدها خالد بن يزيد وهو يحج مع الخليفة عبد الملك بن مروان وأعجب بها، وبعد أداء مناسك الحج أخبر خالد الخليفة عبد الملك أنه أعجب برملة بنت الزبير واشتد حبه لها وأنه يريد الزواج منها فقال له عبد الملك: أو كل هذا قد بلغ بك يا خالد؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين وأكثر.

وقد قيل أن عبد الملك بن مروان أراد خطبة رملة لنفسه فرفضت لأنه قتل أخاها مصعب بن الزبير أمير العراق. وقالت له: إنى لا آمن نفسى على من قتل أخى.

وفى رواية ابن كثير عن زواج خالد بن يزيد من رملة بنت الزبير أنه لما حكى لعبد الملك بن مروان شدة حبه وتعلقه بها أرسل يخطبها لخالد بن يزيد فقالت: حتى يطلق نساءه.

وكان لدى خالد امرأتان فطلقهما وتزوجها(١).

وفى كتاب الأغانى للأصفهانى أورد قصة مفادها أن الحجاج بن يوسف لما علم بخبر زواج خالد بن يزيد من رملة بنت الزبير وبعد مقتل أخيها عبد الله بن الزبير الخليفة أرسل إليه رسولاً يقول له:

- ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورنى وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء وكذلك جدك معاوية وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة، ورموه بكل قبيحة، وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

Scanned by CamScanner

وغضب خالد لرسالة الحجاج وقال لرسول الحجاج:

- لولا أنك رسول والرسول لا يُعاقب لقطعتك إربًا إربًا، ثم طرحتك على باب صاحبك، قل له: ما كنت أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشاورك فى خطبة النساء.

أما قولك لى: قارعوا أباك وشهدوا عليه بكل قبيحة، فإنها قريش يقارع بعضها بعضًا، فإذا أقرَّ الله الحق قراره، كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم.

وأما قولك: إنَّهم ليسوا بأكفاء، فقاتلك الله يا حجَّاج، ما أقل علمك بأنساب قريش، يكون العوام كفؤًا لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه من صفية، وبتزوج رسول الله -ﷺ- خديجة بنت خويلد، ولا تراهم أهلاً لأبى سفيان.

خرج الحاجب إلى الحجاج وأعلمه بذلك.

وعاشت رملة بنت الزبير مع زوجها خالد بن يزيد وهو يحوطها بالحب والتقدير، وأحب خالد بن يزيد آل الزبير لحبه لرملة فقال:

أحب بنى العوام طرًّا لأجلها

ومن أجلها أحببت أخوالها كلبًا

وتحكى كتب السيرة أن رملة قد زوجت ابنها عبد الله بن عثمان من سكينة بنت الحسين بعد مقتل مصعب بن الزبير زوجها ولذلك لما خشيت أن تقبل زواج عبد الملك بن مروان الخليفة، ونشزت سكينة

على عبد الله بن عثمان لخلاف وقع بينهما وشكت أمه رملة بنت الزبير سكينة إلى عبد الملك بن مروان فقال لها:

- يا رملة إنها سكينة!!

فقالت له: وإن كانت سكينة، فوالله قد ولدنا خيرهم، ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خيرهم، بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله -ﷺ- -تقصد السيدة خديجة- ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب -عمة رسول الله -ﷺ- ومن أنكحوا النبى -ﷺ-.

فقال: يا رملة، غرنى منك عروة بن الزبير.

فقالت: ما غرك، ولكن نصح لك لأنك قتلت مصعبًا فلم يأمنى عليك(1).

وهكذا كانت ذات رأى وعقل وجرأة وحكمة.

-رضي الله عنها وأرضاها-، ولم تذكر لنا كتب التاريخ شيئًا عن وفاتها -رضي الله عنها-.

(1) أعلام النساء لعمر كحالة والأغانى للأصفهانى.

Scanned by CamScanner

٣٠

أم مُبشر بنت البراء بن معرور

- رضي الله عنهما -

- أبوها البراء بن معرور الأنصارى الصحابى أحد النقباء من بنى سلمة، أول من استقبل القبلة للكعبة حين وفاته.
- أم مُبشر لها رواية وصحبة ذات علم وفقه.

Scanned by CamScanner

[٣٠] أم مُبشر بنت البراء - رضى الله عنها -

أبوها الصحابى الجليل البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان، الخزرجى الأنصارى.

كان أحد النقباء ليلة بيعة العقبة نقيب قومه بنى سلمة فى «بيعة العقبة الأولى» وكان أول من بايع الرسول -ﷺ-.

قال عنه الذهبى: كان فاضلاً تقيًّا، فقيه النفس، مات قبل قدوم الرسول -ﷺ- للمدينة مهاجرًا بشهر.

وكان أول من استقبل القبلة البيت الحرام فى صلاته وحين وفاته.

ويذكر ابن إسحاق عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه قال:

خرجنا من المدينة نريد النبى -ﷺ- بمكة وخرج معنا حجاج قومنا من أهل الشرك، حتى إذا كنا بذى الحليفة قال لنا البراء بن معرور وكان سيدنا وكبيرنا:

- تعلمنَّ والله لقد رأيت أن لا أجعل هذه البنية -يقصد الكعبة- منى بظهر، وأن أصلى إليها.

Scanned by CamScanner

فقلنا له: والله لا نفعل، ما بلغنا أن نبينا يصلى إلى الشام.

فلقد رأيته -يقصد البراء- إذا حضرت الصلاة يصلى إلى الكعبة، فعبنا عليه وأبى إلا الإقامة عليه. حتى قدمنا مكة فقال لى:

- يا ابن أخى لقد صنعت فى سفرى شيئًا ما أدرى ما هو. فانطلق إلى رسول الله -ﷺ- فلنسأله عما صنعت.

فقال: هل تعرفانه؟

قلنا: لا.

قال: فهل تعرفان العباس.

قلنا: نعم.

فقد كان العباس يختلف إلينا بالتجارة، فعرفناه فقال: هو الرجل الجالس معه الآن فى المسجد، فأتيناهما فسلمنا وجلسنا، فسألنا العباس: فقال رسول الله -ﷺ-: «**من هذان يا عم؟**».

قال: هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك. فقال رسول الله -ﷺ-:

- «**الشاعر**».

فقال البراء: يا رسول! والله لقد صنعت كذا وكذا.

فقال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها.

فرجع البراء إلى قبلته. ثم واعدنا رسول الله -ﷺ- ليلة العقبة الأوسط[(١)].

وقد أوصى البراء قبل وفاته للنبى -ﷺ- بثلث ماله وأوصى بالثلث فى سبيل الله والثلث لورثته ورد النبى --ﷺ- الثلث الذى أوصى به له إلى ورثته.

ومات فى صفر قبل الهجرة النبوية للمدينة بشهر، ولما حضرته الوفاة أوصى أن يدفن وتستقبل به الكعبة، ولما قدم الرسول -ﷺ- المدينة أتى قبره وكبَّر وصلى عليه أربعًا ودعا له.

أم مُبشر وسيرتها:

أسلمت وبايعت الرسول -ﷺ- حين قدم المدينة، ويطلق عليها أم بشر أيضًا.

وكانت ذات علم وفقه وعدت من كبار الصاحبيات كما قال ذلك ابن عبد البر.

ولكثرة زيارتها لبيوت النبى -ﷺ-، وصلاتها بزوجاته -رضي الله عنهن- حفظت من الأحاديث النبوية، وتعلم الفقه، فقد روت عشرة أحاديث، وروى عنها من الصحابة جابر بن عبد الله ومن التابعين مجاهد بن جبير المخزومى الإمام الشهيد وهو إمام الفقه والتفسير والحديث وهو من الذين تعلموا من كبار الصحابة أمثال ابن عباس -رضي الله عنهما-.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وابن هشام فى السيرة.

Scanned by CamScanner

ومن مروياتها قالت: كان رسول الله -ﷺ- فى بيت حفصة فقال: «لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية».

قالت حفصة: أليس الله يقول:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾(١).

فقال -ﷺ-: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(٢)(٣).

وروى عنها مجاهد قالت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «ألا أخبركم بخير الناس؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «رجل فى غُنيمة له يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة قد اعتزل شرور الناس»(٤).

زيارة النبى -ﷺ- لها:

زارها الرسول -ﷺ- فيما يرويه أصحاب التاريخ والسيرة،

(١) سورة مريم: ٧١.

(٢) الطبقات لابن سعد ودلائل النبوة للبيهقى وفى صحيح مسلم أن رسول الله -ﷺ-: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها»، قالت حفصة: بلى يا رسول الله... فانتهرها رسول الله -ﷺ- فقالت له: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ فقال النبى -ﷺ-: قد قال الله عز وجل: «ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» والراوية أم مبشر.

(٣) سورة مريم: ٧٢.

(٤) الإصابة لابن حجر.

فكان لها الشرف العظيم بل وأهداها من هديه هذا الحديث الذى ترويه هى، فتقول: «دخل علىَّ رسول الله -ﷺ- وأنا فى نخل لى فقال: «من غرسه مسلم أو كافر؟».

قلت: مسلم.

قال: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان أو طائر أو سبع إلا كان له صدقة»(١).

وتزوجت أم بشر من الصحابى زيد بن حارثة -رضي الله عنه-.

وعاشت بعد وفاة الرسول -ﷺ- تتابع مسيرة الجهاد والإيمان ولم تذكر كُتب السيرة والتاريخ وقت وفاتها. -رضي الله عنها- وأرضاها-.

(١) ذكره ابن سعد فى الطبقات وابن حجر فى الإصابة.

Scanned by CamScanner

الخاتمــــة

ونصل إلى نهاية المطاف لتلك الموسوعة من سيرة بنات الصحابة الكرام، رغم قلة المصادر التى تحدثت عـنهن، إلا أننا حاولنا جاهدين الإلمام بجوانب حياتهن المضيئة.

وهؤلاء البنات كُنَّ النتاج الطبيعى لآباء وأمهات أسلموا وعايشوا صدر الإسـلام، بل وصاحبـوا رسول الله -ﷺ-، فتـعلموا وتربوا ونهلوا من ينابيع الإيمان الصافية.. فرضى الله عنهم ورضوا عنه.

وفى الجاهلية الأولى لم يكن للـبنات أهمية على الإطلاق، ولم يكن لهـا ميـراث تستـحقه، بل كـانت هى نفـسها تـعد من التـركة الموروثة، وجاء الإسـلام ليعطى الابنة والزوجة والأم والأخت حقـها ومكانتها فـبرزت منهن الكثيرات، وأعطى لهن الفـضل والثواب مثل الرجـال، وقد حكى لنا القـرآن الكريم موقف الجـاهلية وأهلهـا من البنات فى سورة النحل:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(١).

(١) سورة النحل: ٥٨، ٥٩.

وقال -ﷺ- فى حق النساء:

«**إنما النساء شقائق الرجال**»(١).

والبنت إذا صلحت صلح بها المجتمع، والناظر إلى عصرنا يجد أن شياطين الإنس قد أفسدوا النساء كى يفسد المجتمع كله، فقد وعوا الدرس، فـالمرأة الصالحـة المؤمنة فى العـصـر الأول من الإسلام قـد صلحت وصلح بها المجتمع.

ولقـد أدرك أعداء الإسـلام الدرس جيـداً فحين أرادوا حـرب المسلمين وإفسـادهم، أفسدوا المرأة بل وجعلوها تدعى أنهـا لم تأخذ حقـوقهـا كاملة فطالبت بالحـرية، وأية حرية.. إنهـا حرية الإفـساد والفساد، وخـرجت المرأة إلى المجتمع كى تفسده لا أن تصلحـه كما كانت تفـعل فى الماضى البعيـد، حتى ادعت إحدى النسـاء المطالبات بحرية المرأة بأن يتم تعديل حكم شهادة المرأة فى المحاكم وأن تتساوى مع شـهادة الرجل، وتلغى بذلك حكم الله فى كـتابه، وتقـول تلك المرأة كـيف يكون شهـادة الدكتـورة أو الوزيرة بنصف شهـادة الرجل الذى يعـمل لديها بوابًا مـثلاً؟! وادعت أن المرأة زمـان كانت ناقـصة عقل ودين أما الآن فـقد كمل العقل والدين؟!!! والـصحيح أن المرأة فى العصر الإسلامى الأول كانت ناقصـة عقل ودين ولكنها اليوم كما قال أحد العلماء لهؤلاء النسوة لا عقل لها ولا دين.

إن الكتابة عن أمهات المؤمنين وسير الصالحات من الرعيل الأول

(١) أخرجه أحمد والترمذى وأبو داود عن أم سلمة -رضي الله عنها-.

Scanned by CamScanner

إنما هو تذكرة لنا جميعًا حتى لا ننسى هويتنا ودور المرأة فى الحياة.. وأن تكون بناتنا ونساؤنا مثل هؤلاء الصالحات من العصر الأول للإسلام العصر النبوى ونسأل الله السلامة والعون والسداد وأن يتقبل منا هذا العمل وغيره، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآل وصحبه وسلم. آمين.

المؤلف

الفهرس

Scanned by CamScanner

الموضـــــوع الصفحة

Scanned by CamScanner

الكاتب في سطور

منصور عبد الحكيم محمد عبد الجليل

حاصل على ليسانس الحقوق عام 1978م جامعة عين شمس.

من مواليد القاهرة 1955م.

يعمل بالمحاماة والكتابة في الصحف والمجلات العربية والإسلامية وله العديد من الإصدارات والمقالات والأبحاث في الصحف والمجلات العربية والإسلامية واللقاءات على الفضائيات العربية وترجمت بعض كتبه للغة الإنجليزية والكردية والماليزية والأندونسية..

والكاتب له شهرةٌ واسعةٌ في الوطن العربي تخرج في كلية الحقوق جامعة عين شمس، وله عدَّةُ مؤلفات كانت ومازالت من أكثر الكتب مبيعًا في العالم العربي بيعَ منها آلاف النسخ ومنها «السيناريو القادم لأحداث آخر الزمان 1/ 9 جزء» وأول كاتب عربيٌّ يكتب عن الماسونية بتعمق منذ 2003م وكتب فيها 17 جزءًا سميت «حكومة العالم الخفية»وتحدَّث عنها في عِدة برامجَ تليفزيونية.

وعدد الكتب التي صدرت له حتى عام 2018م 186 كتابًا متنوعة، أثرت المكتبة العربية والإسلامية.

كتب صدرت للمؤلف حتى عام 2017م

1. طارد الجن.
2. مواجهة الجن.
3. موائد الشيطان.
4. الأعشاب والجن.
5. دعوة للزواج.

Scanned by CamScanner

6. عرش إبليس ومثلث برمودا.
7. معجزات الشفاء بالحجامة.
8. هل الشعراوي متطرفًا يا إبراهيم.
9. نهاية العالم قريبًا.
10. نهاية دولة إسرائيل سنة 2022م.
11. الحرب العالمية الثالثة قادمة.
12. المهدي المنتظر.
13. نهاية ودمار إسرائيل وأمريكا.
14. شهداء الصحابة.
15. نساء أهل البيت.
16. زوجات الرسول للأطفال.
17. 100 قصة لرجال ونساء عفا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم.
18. اختبر معلوماتك الإسلامية.
19. زوجات الأنبياء والرسل.
20. بيوت الرسول وبيوت الصحابة حول المسجد النبوي.
21. النساء المبشرات بالجنة.
22. بنات الصحابة.
23. السيناريو القادم لأحداث آخر الزمان.
24. نهاية العالم وأشراط الساعة.
25. عشرة ينتظرها العالم.
26. تنبؤات نوستراداموس ومخططات اليهود.

27. يأجوج ومأجوج من البدء حتى الفناء.
28. البداية فتن والنهاية ملاحم.
29. أقدم تنظيم سري في العالم.
30. العالم رقعة شطرنج.
31. من يحكم العالم سرًّا؟.
32. أسرار الماسونية الكبرى.
33. أوراق ماسونية سرية للغاية.
34. العراق أرض النبوءات والفتن.
35. الإمبراطورية الأمريكية – البداية والنهاية.
36. نيويورك وسلطان الخوف.
37. بلاد الحجاز معقل الإيمان آخر الزمان.
38. بلاد الشام أرض الأنبياء والنبوءات.
39. الفراسة في معرفة الآخرين.
40. ازدراء وإيذاء الأنبياء.
41. جبريل عليه السلام أمين الوحي الإلهي.
42. المهدي في مواجهة الدجال.
43. الحرب السابعة ونهاية اليهود.
44. هرمجدون ونهاية أمريكا وزوال إسرائيل.
45. السفياني صدام آخر على وشك الظهور.
46. إسرافيل وأهوال القيامة.
47. مؤامرات وحروب صنعتها الماسونية.

Scanned by CamScanner

48. عزرائيل ملك الموت.
49. حكومة الدجال الماسونية الخفية.
50. الشيطان إبليس وصراعه مع الإنسان.
51. صلاح الدين المنقذ المنتظر.
52. هلاك الأمم من قوم نوح إلى عاد الثانية.
53. جنكيز خان إمبراطور الشر.
54. هولاكو مارد من الشرق.
55. مالك خازن النار – النار وأهوالها.
56. رضوان خازن الجنة.
57. واقتربت الساعة.
58. الحرب العالمية الأخيرة قادمة.
59. دولة فرسان مالطا وغزو العراق.
60. القرين العدو الحقيقى للإنسان.
61. الثالوث الغامض..قارة أطلانتس ومثلث برمودا والأطباق الطائرة.
62. عالم السحر والسحرة والمسحورين.
63. الحياة الأخرى.
64. أصحاب البروج في مواجهة أصحاب الكهوف.
65. السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين المحترمين.
66. تيمورلنك إمبراطور على صهوة جواد.
67. مصطفى كمال أتاتورك ذئب الطورانية الأغبر.
68. الحجاج بن يوسف الثقفى طاغية بنى أمية.

69. عمرو بن العاص داهية العرب.
70. خالد بن الوليد قاهر الأكاسرة والقياصرة.
71. جهنم في الديانات السماوية.
72. حرب الفيروسات ونهاية العالم.
73. سلالات وعائلات ومنظمات تحكم العالم.
74. بروتوكلات حكماء صهيون والمخططات الماسونية.
75. التمهيد الأخير لخروج الدجال.
76. الدجال في مواجهة الوحى الإلهى.
77. المسيح في مواجهة الدجال.
78. السلطان قطز بطل عين جالوت.
79. هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه.
80. معاوية بن أبى سفيان.
81. أبناء في الجنة وآباء في النار.
82. الحشر وأهوال القيامة.
83. أشهر الاغتيالات الماسونية.
84. عالم الملائكة الأبرار.
85. هاروت وماروت.
86. الماسونية والثورات الشعبية.
87. جنود الله.
88. الصحابة يسألون.
89. الشرق الأوسط في نبوءات الكتب المقدسة.

Scanned by CamScanner

90. مثلث برمودا مقبرة الأطلنطي.
91. الماسونية حقائق وأسرار.
92. المسيح الدجال وأسرار الأهرامات الكبرى.
93. قصة أبينا آدم من الطين إلى الجنة.
94. طوفان نوح.
95. الدولار الشفرة المقدسة للنظام العالمي الجديد.
96. الشام على أعتاب النهاية.
97. لعبة المتنورين والنظام العالمي الجديد.
98. الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة.
99. آل روكفلر تجار الموت وأعوان الدجال.
100. السلطان سليمان القانوني.
101. ابن سبأ مؤسس الماسونية في الإسلام.
102. المؤامرة الكبرى.
103. الكشكول صندوق المعرفة.
104. السلطان العاشق.
105. تركيا من الخلافة إلى الحداثة.
106. القبيلة 13 تحكم العالم.
107. الملك النبي سليمان عليه السلام.
108. مردوخ إمبراطور الإعلامي.
109. حديث الفتن والثورات.
110. الملك النمرود.

111. الملك البابلى نبو خذ نصر.
112. الملك ذو القرنين.
113. الإسراء وبني إسرائيل.
114. ظهورات المسيح الدجال عبرالعصور.
115. هابيل وقابيل.
116. التلاعب بالعقول عبر العصور.
117. الحقيقة والباحثون عن الحقيقة.
118. الفراسة والنساء.
119. داعش مارد العصر الأخير.
120. ظهورات الشيطان عبر العصور.
121. الشيطان أمير هذا العالم (وليم كاى غار) تقديم ومراجعة.
122. قبضة الشيطان.
123. عصر الخداع آخر العصور على الأرض.
124. القحطاني خليفة آخر الزمان.
125. الإنذارات الأخيرة للأرض.
126. غلبت الروم ذات القرون.
127. جنرالات المال والاقتصاد يحكمون العالم.
128. تميم الدارى و666 - رواية.
129. الإسكندر الأكبر المقدوني.
130. صقر قريش - عبد الرحمن الداخل.
131. هرقل عظيم الروم.

Scanned by CamScanner

132. النبوءات الإلهية.

133. كيسنجر عراب النظام العالمي.

134. أرطغول وتأسيس الدولة العثمانية.

135. شخصيات غامضة في القرآن حيرت العلماء.

136. رواية قرن الشيطان.

137. هيرودس أغريبا مؤسس الماسونية في القرن الأول الميلادي.

138. إدريس نبي الله وسفر أخنوخ.

139. فلاد الثالث (دراكولا).

140. القدس في نبوءات الكتب المقدسة.

Scanned by CamScanner

بنات الصحابة

في عصر النبوة

تأليف

منصور عبد الحكيم

المكتبة التوفيقية

Scanned by CamScanner

بنات الصحابة

في عصر النبوة

منصور عبد الحكيم



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

Scanned by CamScanner